علم الطباع السلوكي

في القلب

وصراع الإرادات العقلية

الكتاب: علم الطباع السلوكي في القلب
وصراع الإرادات العقلية
المؤلف: د. ماهر جميل بايزيد
الطبعة الأولى: 2021
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا– اللاذقية- 0936482050

د. ماهر جميل بايزيد

علم الطباع السلوكي
في القلب
وصراع الإرادات العقلية

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أدب نبيه محمد ﷺ فأحسن تأديبه وزكى أوصافه، وزيَّنه بالخلق العظيم، عندما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **القلم/4**، ودعانا إلى التخلق بأخلاقه، وفَّوض لنا تحسين أخلاقنا وطباعنا بمجاهدة أنفسنا، وأمدنا بنور الإيمان والعقل، ليسير المؤمن في هذه الدنيا على بصيرة من نور الله عزَّ وجل فتظهر الأخلاق الحميدة وأعمال البر.

هذا الكتاب يتحدث عن علوم الطباع وهو استمرار لما طرحته في كتابي الذي صدر العام الماضي **بين العقل والقلب الإعجاز المبين**، حيث اجتزأت منه موضوع المورثات السلوكية الطبعية وتوسعت به، وبفضل من الله ومنَّة، وقدمت خمسة عشر إثباتاً علمياً مترافقاً بأدلة قطعية من القرآن الكريم وسنة نبينا محمد ﷺ بأن الطباع السلوكية ما هي إلا مورثات موجودة حصراً في قلب الإنسان، وأن المورثات السلوكية والجسمية مجبولة من أديم الأرض وأنها تنتقل عبر الأجيال وقابلة للتغير.

ثم انتقلت إلى تأثير الإرادة العقلية في التحكم بالطباع السلوكية، يقول الإمام عليٌّ كرم الله وجهه: ((الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خُلُقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك))[1]، وهذا عين الاعتدال العقلي.

إن قضية المورثات الطبعية لا تقع تحت إدراك العلماء بشكل مباشر الآن، لهذا فكل نظرية علمية تنتصر تكون بمقام الحقيقة عندما يؤكدها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وأي تعارض بين القرآن الكريم والنظرية العلمية ستسقط لا محال.

يقول الشيخ الشعراوي: ((إن القرآن كلام الله، والكون خلق الله، وما دام الذي خلق الكون هو الذي قال ذلك الكلام فيجب بداهة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة علمية)).

فبحثت بالأدلة القرآنية والعلمية لكي أثبت ما ذكرت، وأسأل الله الصواب والتوفيق، وأن يكون هذا الكتاب خالصاً لوجه الله تعالى وأن يقبله.

وأقدم هذا الكتاب لسيد البشرية ﷺ وعلى آله وأصحابه الأخيار، وإلى روح والديَّ يرحمهما الله.

د. ماهر جميل بايزيد

---

[1]- نهج البلاغة للإمام عليٍّ كرم الله وجهه، شرح الشيخ محمد عبده، ص500.

الفطرة الطبعية

معنى الفطرة: فطر اللّه الخلق هو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال فقوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الروم/30، إشارة منه تعالى إلى ما فطر أي أبدع وركز في الناس من معرفة الإيمان.

ومعرفته تعالى وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الزخرف/87[1].

فالفطرة موجودة في كل بني ادم.

يقول الغزالي: ((ليس معنى الفطرة أن الناس يولدون بعقائدها وفضائلها، فلو كان الأمر كذلك ما كان هناك تكليف، وإنما المعنى أن الناس يولدون مستعدون لها، مؤثرين لمنهجها، يتدافعون من مجراها تدافع الماء إلى المنحدر)).

أي أن الخير يتلاءم مع طبيعة الإنسان بفطرته، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم/30.

---

[1]- أبو القاسم الحسين بن محمد **الراغب الأصفهاني**: المفردات في غريب القرآن، **384**.

يأمر تعالى بالإخلاص له من جميع الأحوال، وإقامة ونية ﴿فأقم وجهك﴾ أي انصبه ووجهه إلى الدين الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تتوجه بقلبك، وقصدك، وبذلك إلى إقامة شرائع الدين.

وخص الله إقامة الوجه، لأن إقبال الوجه تبع لإقبال القلب، ويترتب على الأمرين سعي البدن، هذا الأمر الذي أمرناك به.

ووضع في عقولهم حسنها، واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق، وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة[1].

فالأعمال الصالحة تسمى معروفاً لأن فطرة الإنسان عرفتها ابتداءً والأعمال السيئة تسمى الأفعال المنكرة لأن الفطرة نكرته ابتداءً.

لكن هناك من يحرفها عن مسارها الطبيعي منها: مؤثرات البيئة الاجتماعية والشيطان الرجيم، وعنه ﷺ قال: ﴿كُلَّ مَوْلُودَ يُولَدُ عَلَى فُطْرَةٍ، حَتَّى يُعْرِبُ عَنْ لِسَانِه، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِّه، أَوْ يَنْصُرَانِّه، أَوْ يُمَجِّسَانِه﴾[2].

بهذه المؤثرات والمفاهيم والمعتقدات الخاطئة، تنحرف الفطرة وتفسد كما يفسد الخل العسل.

فلو ترك الإنسان بدون هذه المؤثرات السلبية المفسدة لفطرتهم لكانوا مسلمين موحدين لنقاوة فطرتهم المجبولة والمطبوعة ويعربون عن الحق بلسانهم عند إدراكهم ووعيهم، فيتدافعون في مجراها لعمل الخير.

---

[1]- عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **647**.

[2]- **مسلم** بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم.

إن الطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق والسلوكيات من خير وشر، والطبع والطّبعية هي السجية فإن ذلك هو نَقشُ النفس بصورة ما إما من حيث الخلقة وإما من حيث العادة[1].

الخَلق والخُلق في الأصل واحد، لكن خُصَّ الخَلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **القلم/4** .

والأخلاق: هي إظهار العزم والإصرار لميل واضح ومستمر لطباع معينة في داخل الإنسان تظهر للعيان، عندها يتصف بها كخلق وسجية له.

هذه الأخلاق والسلوكيات ما هي إلا طباع مطبوعة من خير وشر مجبولة في الإنسان منها الظاهر للعيان ومنها المستور للعيان، لا يعرف عددها إلا الله عز وجل موجودة في قلب الإنسان حصراً، تتأثر بمؤثرات كثيرة جداً منها: البيئة الاجتماعية – كالأهل والصحبة والمجتمع، وما يبث فيها من مفاهيم ومعتقدات قد تكون صحيحة أو مغلوطة، ومؤثرات ظنية وسواسية حاقدة يحركها الشيطان الرجيم وهوى النفس، ويردعها الإيمان بالله عز وجل والإرادة العقلية في دفع هذه الشرور والهوى فيفلح صاحبها.

إن سورة الشمس تتكلم جزئياً عن موضوع النفس الإنسانية وما جبلها الله عليه من الخير والشر، والهدى والضلال، فبدأت السورة الكريمة بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله جل وعلا، وبالنفس البشرية التي كملها الله، وزينها بالفضائل والكمالات، أقسم بهذه الأمور على فلاح الإنسان ونجاحه إذا اتقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا طغى وتمرد، وفسق وفجر.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴿7﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿8﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴿9﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ **الشمس/7-10**.

---

[1]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص**304**.

خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القديمة، فأرشدها إلى فجورها وتقواها، أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدره لها، قال ابن عباس: ((بين لها الخير والشر، قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي دساها بالضلال حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل))[1].

تعالوا نتابع...

- ✓ كيف يمكن أن نقوم بتطهير طباعنا السلوكية؟
- ✓ كيف يمكن أن نقوم بتنقية نفوسنا من أدران الحقد والكراهية والغل؟

عفواً قبل ذلك...

الرجاء التمعن بموضوع ظاهره ليس له علاقة بموضوعنا وباطنه هام جداً للدخول إلى علم الطباع، فتعالوا نقرأ نبذة عن علم الوراثة الجسمية في نقل الصفات والأمراض من الآباء إلى الأبناء.

[1]- الصابوني: مختصر تفسير ابن كثير، ج3 ص **638-639**.

توريث الصفات الجسمية

بين الوراثة والبيئة[1]

علم الوراثة Genetics: علم يدرس الصفات وكيفية توريثها للأبناء، ويدرس الأمراض الناتجة عنها والتأثير البيئي لها، والعيوب الوراثية التي تظهر وعن إمكانية علاجها في المستقبل، بعد دراسة تاريخية للعائلة.

- المادة الأساسية لعلم الوراثة هي DNA حمض الريبي منقوص الأوكسجين هي التي تحمل الشيفرة الوراثية للإنسان.
- شكل الشيفرة الوراثية المحمولة على DNA عبارة عن سلسلتين متصلتين مع بعضهما البعض من الوحدات البنائية للـ DNA وهي أربع قواعد بنائية كيميائية نيتروجينية.

الشكل رقم (**1**)

بنية الـ D.N.A

[1]- د . ماهر جميل بايزيد : كتاب بين العقل والقلب والإعجاز المبين، ص**59-62**.

الأدنين A، الجوانين G، السيتوسين C، التايمين T، ويرتبط الأدنين A مع التايمين T، والجوانين G مع السيتوسين C بروابط هيدروجينية.

وكل قاعدة ترتبط مع سكر ومجموعة فوسفات لتتشكل النيوكلوتيد، وكل ثلاث قواعد تحدد شفرة لحمض أميني المسؤول عن صناعة البروتينات.

صناعة البروتينات تكون في خارج نواة الخلية (الريبوزوم) عن طريق طباعة نسخة من الشفرة الوراثية ونقلها من النواة للخارج لصناعة البروتينات.

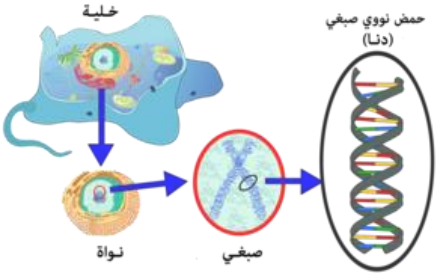

الشكل رقم (**2**)

تشكل البروتينات في الخلية

الجين Gene – المورثة: هي جزء من تراكيب كبيرة تسمى الكروموسوم، خلية الإنسان تحتوي على/23/زوج من الكروموسومات منها/22/زوج جسمي وزوج واحد /1/ جنسي.

قبل أن تنقسم الخلية يجب أن تنسخ معلوماتها الوراثية بحيث تنقل نسخة كاملة من هذه المعلومات إلى الخلية البنت، وهكذا عندما يتفرق الشريطان المكونان للولب المزدوج الـ DNA، فإن كلا منهما يشكل قالباً لإنتاج شريط آخر مكمل له يماثل تماماً الشريط المكمل الأصلي «ومع ذلك قد تقع الأخطاء أحياناً، عندها

تسمى الطفرة» وكل ثلاث أحرف أو قواعد بناء في – DNA- ترمز إلى حمض أميني من الحموض الأمينية العشرين، هذه الحموض الأمينية ترتبط ببعضها لتشكل واحداً من آلاف البروتينات والتي تعتبر المكونة للجسم البشري[1].

ففي/26/حزيران من العام 2000م وقف كولينزوفتر بجانب بيل كلنتون في البيت الأبيض وخاطب كلنتون قائلاً: ((اليوم نتعلم اللغة التي خلق الله بها الحياة))[2].

((الشيفرة الوراثية الكاملة تشرح عمل جسم الإنسان وتحتوي على ثروة من المعلومات لا تقدر بثمن، لكن قراءة هذه المادة المكونة من ثلاثة بلايين حرف عمل ممل للغاية.

ولو أن الشيفرة الوراثية كتبت على الأوراق التي نكتب فيها فإن الصفحة الواحدة ستحوي/300/رمز وراثي والمورثة الواحدة ستأخذ خمس صفحات وسطياً وسيشغل الشريط الوراثي للصبغي الواحد/200/كتاب، وتحتاج المادة الوراثية مجتمعة إلى/4000/نسخة وبعبارة أخرى فإن الاستماع إلى قراءة كاملة لرموز في المادة الوراثية البشرية سيستغرق عمر الإنسان بأكمله))[3].

يلتف DNA ويتكثف ضمن نواة الخلية، والمسافة بين رمزين متجاورين في الشيفرة هي 0.34 نانو متر (أي أقل من واحد إلى بليون من المتر) ولو مُدَ الـ DNA بشكل كامل فقط في: خلية واحدة لكان طوله متران أو ستة أقدام.

---

[1]- كيفن ديفس: الجينوم– كسر شفرة المورثات، الناشر: شركة العبيكان للنشر، ص**57- 58**.

[2]- المرجع السابق، ص**78- 79**.

[3]- المرجع السابق، ص**55**.

إن المادة الوراثية الموجودة في/100/تريليون خلية تشكل جسم الإنسان تساوي لو مدت عشرين ضعفاً المسافة بين الأرض والشمس[1].

الطفرة الوراثية تؤدي إلى أمراض وراثية نتيجة اختلالات من الانقسامات الخلوية المنصفة للخلايا، مثال ذلك:

متلازمة داون المنغولية:

التي تحدث بسبب فشل الصبغيات في الانفصال عن بعضها أثناء انقسام بويضة الأم فينتج نسخة إضافية من الصبغي/21/أي وجود ثلاث كروموسومات للكروموسوم/21/ويتضمن صفات الشخص المصاب بمتلازمة داون، وجود طية في جلد الجفون العليا – قصر القامة – الأيدي واسعة – أصابع اليد والقدم قصيرة – الوجه مستدير عريض – اللسان بارز عريض، مع ظهور علامات للتخلف العقلي يجعل الكلام صعباً وهناك أمراض شائعة تصيب هؤلاء المصابين بمتلازمة داون، إصابات في الجهاز التنفسي – الليوكيميا – إصابات قلبية مع وجود جراحة القلب المفتوح والتقنيات العلاجية[2].

هذه طفرة واحدة من بين ألوف طفرات الوراثية للصفات والأمراض الجسمية.

تعالوا نتحدث عن علم الطباع – المورثات السلوكية الموجودة في قلب الإنسان فقط.

دراسة علمية قمت بها بفضل من الله وكرمه وتم توثيقها في كتابي **بين العقل والقلب الإعجاز المبين** الصادر سنة 2020م، وقمت بتوسيع هذا البحث بعمل الكتاب هذا.

---

[1]- المرجع السابق، ص**56**.

[2]- مدخل إلى علم الوراثة البشرية: د. سمير قاري، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع، ص**314-315**.

أسئلة محيرة:

- ✓ هل المورثات السلوكية الطبعية موجودة في قلب الإنسان فقط؟.
- ✓ هل جُبل الإنسان على بعض الطبائع الطيبة والخبيثة؟.
- ✓ هل يوجد تأثير للبيئة الاجتماعية والتربية في تهذيب الطبائع الخبيثة المجبولة في قلبه؟.
- ✓ هل الوراثة السلوكية الطبعية تورث إلى الأبناء؟.

لنتذكر قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ **النحل/89**.

هذه الدراسة العلمية أقدمها في هذا الكتاب بخمسة عشر إثباتاً من الحقائق العلمية ومن كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ، تؤكد وتساند هذا البحث والله وليُ التوفيق.

علم الطباع في الانسان

الموروثات السلوكية الموجودة في قلب الإنسان

«دراسة علمية قمت بها بفضل من الله وكرمه»[1]

الفرع الأول

الإثبات الأول

وجود مورثات سلوكية شفعية في قلب الانسان

مما يدل دلالة قاطعة على وجود مورثات سلوكية طَبعية مندمجة في قلب الإنسان ومؤلفة من زوج «شفع» صنفين متقابلين أحدهما ظاهر والآخر ضامر، موجودة في خلايا خاصة متمايزة ومتطورة جداً ولا توجد إلا في القلب... أكرر لا توجد إلا في القلب.

فالظاهرة السائدة تكون قوية واضحة للمرء والعيان منها الخلق الحسن ومنها الخلق السيئ والأخرى مستورة «أو متنحية» تكون خامدة لا تظهر للعيان منها خلق خير ومنها خلق شر، فالإنسان لديه استعداد فإما ينميها أو يخفيها، وذلك بالتعود الإرادي ومزاولته.

---

[1]- كتاب بين العقل والقلب الإعجاز المبين للدكتور ماهر جميل بايزيد، ص**67- 70**.

فتعالوا نثبت لكم صحة هذا القول بإذن الله.

- قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ **الذاريات/49**، «أي صنفين»[1].

قال تعالى: ﴿سُبۡحَانَ الَّذِي خَلَقَ الۡأَزۡوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **يس/36**.

ومن أنفسهم أي نوعَّهم إلى ذكر وأنثى، وفَاوَت بين خَلْقهم وخُلُقهم، وأوصافهم الظاهرة والباطنة[2].

- وعنه ﷺ قال: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلَّةٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾[3].

هذا للمؤمن يطبع على كل الصفات والسلوكيات الخلقية إلا الخيانة والكذب لأن الكذب ليس من طباع المؤمن التي فطر عليها، لكن قد يدخل في قلبه كذب عارض.

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا﴾[4].

---

[1]- تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص**823**.

[2]- تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص**703**.

[3]- رواه أحمد والبيهقي في حديث أبي أمامة عن رسول الله: ﷺ: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ الْخِلَالِ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾.

[4]- أبو عبد الله محمد بن اسماعيل **البخاري**: الأدب المفرد، رقم/**281**/، ومحمد بن عيسى **الترمذي** في كتابه سنن الترمذي برقم/**1633**/.

- عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ﴿خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِّ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ﴾[1].
- سأل الأعراب رسول الله ﷺ، قالوا: ﴿يَا رَسُولَ اللهِ مَا خَيْرٍ مَا أُعْطِي الْإِنْسَانَ ؟ قَالَ خُلُقَ حُسْنٍ﴾[2].

هذا مما يؤكد أن المؤمن قلبه مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض لأن قلبه أشرب نور الإيمان والحكمة ونور القرآن فتنوسم المورثات السلوكية الخلقية الحسنة فتزداد تألقاً ونوراً حتى يصبح القلب أبيضاً سليماً فلا مكان مطلقاً لسوء الخلق في قلبه لأنه ألزم نفسه وتعود على إنماء الخلق الحسن لديه وتقرب لأهل الخير والبر.

---

[1]- رواه البخاري الأدب المفرد، برقم/**282**/والترمذي في سننه برقم/**1962**/.

[2]- رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم/**291**/.

الإثبات الثاني

وجود مورثات سلوكية متقابلة ومتعاكسة

حديث يثبت وجود شفع (زوج) من الطباع المتقابلة المتعاكسة في قلب الإنسان، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ﴿صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّٰه ﷺ يَوْمَا صَلَاَة الْعَصْرِ، ثُمَّ قَامَ خَطيبَا، وَكَانَ فيمَا حَفظْنَاهُ يَوْمَئذ :أَلَا إنَّ بَنِّيَّ آدم خَلَّقُوا عَلَى طَبَقَات، أَلَا وَإنَّ منْهُم الْبَطيءَ الْغَضبَ، سَريعَ الْفَيْءِ، وَمنْهُمْ سَريعَ الْغَضَب سَريعَ الْفَيْءِ فَتلْكَ بتلْكَ، أَلَا وَإنَّ منْهُمْ سَريعَ الْغَضَب سَريعَ الْفَيْءِ وَالْبَطيء الْغَضب، بَطيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَخَيَّرَهُمْ بَطيءُ الْغَضَب، سَريعَ الْفَيْءِ، أَلَا وَشَرَّهُمْ سَريعُ الْغَضَب، بَطيءَ الْفَيْءِ، أَلَا وَإنَّ منْهُمْ حُسْنَ الْقَضَاء، حُسْنَ الطَّلَب، منْهُمْ سيءَ الْقَضَاءُ حُسْنَ الطَّلَب، وَمنْهُمْ حُسْنَ الْقَضَاء سيءَ الطَّلَبُ فَتلْكَ بتلْكَ، أَلَا وَإنَّ منْهُم السَّيْءَ الْقَضَاءَ السَّيْءَ الطَّلَبَ، أَلَا وَخَيْرَهُمَ الْحَسَنَ الْقَضَاءَ، الْحَسنَّ الطَّلَبَ، أَلَا وَشَرَّهُمْ سيءَ الْقَضَاءُ سيءَ الطَّلَبُ...﴾[1].

ومعنى الْفَيْءِ الرجوع إلى حالة محمودة، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الْفَيْءِ، وهذا خير نموذج، أي بطبعه الرزانة وحسن التصرف، ولو غضب يكون غضبه بطيئاً وانفعالاته هادئة، وسريع العودة إلى حلمه وسكينته.

هذه الطباع الموجودة في قلب الإنسان إما أن تتمم بعضها بعضاً أو تتعاكس.

---

[1]- رواه الترمذي.

الإثبات الثالث

المورثات السلوكية والجسمية مجبولة

من مشكاة واحدة من أديم الأرض

قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ الحج/5.

إن المورثات السلوكية والجسمية من مشكاة واحدة من أديم الأرض، هذا يعني أن المورثات السلوكية كذلك أساسها (DNA)، وأنها مجبولة من أديم الأرض.

ألم يخبرنا رسولنا الكريم ﷺ بهذا الحديث ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾[1].

فصلاح الجسم من صلاح القلب العضوي، وصلاح النفس الإنسانية من صلاح القلب العضوي الحامل للإيمان وللطباع السلوكية «المورثات» فعندما تكون المورثات السلوكية الخلقية الحسنة ظاهرة على الإنسان لإيمانه القوي بالله، حكماً سينعكس على الجوارح وعملها فيكون صلاح النفس البشرية، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة تثبت قطعياً أن الطباع السلوكية «المورثات السلوكية والمورثات الجسمية» من أديم الأرض من مشكاة واحدة وجبلة واحدة.

---

[1]- رواه البخاري برقم /52/ جزء من الحديث.

عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ، وَالْأَبْيَضُ، وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[1].

لاحظوا كيف المزج بين خَلق الإنسان وخُلُقه كجبلة واحدة وأن الخَلقَ والخُلقَ يورثان، وأن المورثات السلوكية – علقة مادية.

- وعنه ﷺ: ﴿وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي﴾[2].

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ للأشج عبد القيس:

- ﴿إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ﴾[3].

وفي رواية أخرى قال له النبي ﷺ: ﴿أَمَّا إِنَّ فِيكَ لَخُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُه، فَقَالَ: جَبَلًا جَبَلْتُ عَلَيْهِ، أَوْ خَلْقًا مَعْنِي ؟ قَالَ: لَا، بَلْ جَبَلًا جَبَلْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جبلني عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهِ وَرَسُولُه﴾[4].

إن الطباع السلوكية ما هي إلا مورثات سلوكية مجبولة في جبلة الإنسان وموقعها في قلبه هنا نلاحظ خصلة الحلم والأناة المجبولتان في هذا المؤمن ظاهرة للعيان.

الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب:

- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ **هود/75**.

---

[1]- رواه أبو داود في سننه برقم /**4693**/.

[2]- رواه أحمد والترمذي.

[3]- أخرجه مسلم، **25/17**.

[4]- رواه البخاري في الأدب المفرد برقم **587**.

- ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات/**101**، أي وجدت فيه قوة الحلم[1].

والأناة هي التؤدة والتأني والرزانة والصبر وحسن التصرف، وضده الطيش والعجلة، مع التنبيه أن العجلة صفة طبعية سلوكية عامة لبني آدم، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ الأنبياء/**37**.

قد تكون ظاهرة عند البعض ومستورة عند الآخرين.

والعجلة هي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه وهي من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان:

- ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الأنبياء/**37**.

تعالوا نتدبر ونعقل هذه المعلومات، في الحديث السابق: ﴿فَجَاءَ بَنَو آدَمَ عَلَى قَدَّرَ الْأَرْضُ مِنْهُمْ أَحْمُرُ، وَالْأَبْيَضَ، وَالْأُسودَ وَبَيْنَ ذَلكَ...﴾ هذه جبّلة للصفات الجسمية، ﴿...وَالسَّهْلَ وَالْحَزْنَ وَالْخَبِيثَ وَالطَّيِّبَ﴾ هذه جبّلة للصفات السلوكية (الطباع).

إن الإنسان خلق من أديم الأرض ومن مكونات عناصرها والعناصر الأساسية لمكونات الإنسان هي: الأوكسجين – الكربون – الهيدروجين – النيتروجين – الفوسفور – الكالسيوم – البوتاسيوم – الصوديوم –الكبريت – اليود – الحديد ...

- 96٪ من كتلة جسم الإنسان تتكون من النيتروجين – الهيدروجين – الكربون – الأوكسجين.
- الأكسجين والهيدروجين يشكلان الماء الذي يأخذ حوالي 70٪ من كتلة الإنسان.
- النتيروجين هام جداً لبناء المادة الوراثية (DNA) – حمض الريبي المنقوص الأوكسجين.

---

[1]- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**136**.

- حيث يتألف من أربع قواعد بنائية نيتروجينية ترتبط كل قاعدتين بروابط هيدروجينية، (A) الأدنين مع التايمين (T)، السيتوسين (C) مع الجوانين (G).

كل قاعدة ترتبط مع السكر ومجموعة الفوسفات لتشكيل النيوكلوتيد .

كل ثلاث قواعد تحدد شفرة الحمض الأميني وعددهم عشرين حمضاً، المسؤولين عن تشكيل البروتينات.

صناعة البروتينات تكون خارج نواة الخلية – في (الرايبوزوم).

- عنصر الكربون عنصر هام لبناء الأحماض النووية والأمينية لصناعة البروتينات.
- عنصر الفوسفور عنصر هام لبناء الأحماض النووية والأمينية ولبناء العظام والأسنان.
- إذاً جسم الإنسان متكون من عناصر الأرض والمورثات الجسمية والسلوكية متكونة من عناصر الأرض، أي من صميم العلقة المادية (جبّلة واحدة).

فأيُ تأثير خاطئ (طفرة) في المورثات الجسمية ينعكس عموماً على المورثات السلوكية – الطباع – السجايا للإنسان والعكس صحيح.

وما أكثر الأمراض النفسية السلوكية التي تظهر نتيجة طفرة جسمية أو طفرة سلوكية، ويتداخل هذا الموضوع بالهرمونات التي تؤثر سلباً وإيجاباً على حالة الإنسان الجسمية والسلوكية، وأهم هذه الهرمونات هي: الأدرينالين– النورأدرينالين – الدوبامين (هرمون السعادة) – السيروتونين (هرمون الكآبة)، الأوكسيتوسين (هرمون الألفة والمحبة والمودة)، فأي زيادة في أحدهم أو نقصان في تركيزه في الجسم يؤثر على مزاج وحالة الإنسان النفسية والعصبية الجسمية.

لكن لا بد من وجود حظ للشيطان مقدر من هذه العلقة المادية السلوكية الطبعية في الإنسان، محاولاً التفنن في إغوائه ووسوسته وإغراء العداوة والمشاحنة بين الناس، والشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم.

تعالوا نتابع حظ الشيطان من بني آدم.....

حظ الشيطان من بني آدم

الفرع الأول

الإثبات الرابع

للشيطان نصيب مقدر من علقة بني آدم

الحظ: النصيب المقدر،﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾ **النساء/118**.

[عَلِمَ اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاه وآثر طاعته على طاعة مولاه][1].

حظ الشيطان الرجيم التأثير على من تولاه بإثارة هواه وشهواته الماجنة وإثارة الطباع السلبية فيه كحب المعصية والكذب والرياء والظن السوء، والخسة والذلة، لضعف الواعظ الإيماني والعقلي فيه، فيصبح ذو طاقة سلبية ظلامية.

يدخل الشيطان الرجيم قلب الإنسان بطرق وحظوظ كثيرة منها:

- حظ الشيطان الإيعاذ بالشر وتكذيب الحق والنهي عن الخير عن طريق الإيحاء،﴿إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ **الأنعام/121**.

---

[1]- تيسر الكريم الرحمن للسعدي، ص**192**.

قال ﷺ: ﴿في الْقَلْب لمتان لَمَّة منْ الْملك إيعاذ بالْخَيْر وَتَصْديق بالْحَقّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ منْ اللَّه سُبْحَانَهُ وليحمد اللَّهَ وَلَمَّة الْعَدُوّ وإيعاذ بالشَّرّ وَتَكْذيب بالْحَقّ وَالنَّهْي عَنْ الْخَيْر فَمَنْ وَجَدَ ذَلكَ فَلْيَسْتَعذْ بِاللَّه منْ الشَّيْطَان الرَّجيم﴾ [1].

- حظ الشيطان الرجيم على من تولاه بوعوده الكاذبة والتمني،﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء﴾ البقرة/**268**.
- حظ الشيطان الرجيم تقيد لسان من تولاه عن ذكر الله، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّه﴾ المجادلة/**19**.
- حظ الشيطان على من تولاه أنه يزين أعمالهم القبيحة، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام/**43**.
- حظ الشيطان في تغيير خلق الله، ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّه﴾ النساء/**119**.

أمر اتباعه بالوشوم الشيطانية، والتحول الجنسي، بل هنالك أبحاث جديدة لتغيير كامل الوجه واستبداله بآخر، والخوف من عمل طفرات في المورثات السلوكية عن طريق إدخال الحمض الريبي الرسول (mRNA) في جسم الإنسان لإنتاج هذه الطفرات السلوكية التي تؤدي لتغيير القيم الإنسانية الأخلاقية، لأن شياطين الأنس والجن اجتمعوا على أن يجتالوا الناس عن فطرتهم وتحويلهم للكفر والعصيان وتدمير صوت الحق في قلوبهم.

- حظ الشيطان على من تولاه أنه يشعل العداوة والبغضاء بين الناس،﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ المائدة/**91**.

---

[1]- أخرجه الترمذي.

العداوة والبغضاء والحسد والحقد والغضب كلها طباع مذمومة يثيرها الشيطان الرجيم لكي تنمو وتكبر، لأنها تكون كالبذور يسقيها الشيطان الرجيم بالإغواء والشحن وإثارة الحقد والحسد في قلوبهم.

كل هذه المؤثرات من حظوظ الشيطان الرجيم تؤدي لتهاوي الطباع الخيرة وظهور الطباع السيئة القبيحة في هذه النفوس المريضة كحب عمل المعاصي والمنكر والمجادلة والمفاخرة والاغترار، والاستعلاء، والخيانة والكذب، والرذيلة وتزيّن الباطل، والشذوذ.

هي معركته مع بني آدم، أعلنها الشيطان الرجيم وهي مستمرة إلى يوم القيامة، لكن الله عزَّ وجلّ يدعونا لأن نجعل الشيطان عدونا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ **فاطر/6**.

فتعالوا نتأمل ونتدبر بعد أن عرفنا أن للشيطان الرجيم حظ ونصيب مقدر من علقة بني آدم، حيث يتفنن في التأثير والتزين والخداع والوسوسة لأنه يجري في الإنسان، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنَّ خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ شَيْئًا﴾[1].

تحدث القرآن الكريم عن وسوسة الشيطان الرجيم لآدم عليه السلام وحواء.

- قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ **الأعراف/20**.

وحادثة موسى عليه السلام مع الخضر وقصة الحوت.

- قال تعالى: ﴿وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ **الكهف/63**.

وإثارة غضب ذا النون عليه السلام.

---

[1]- أخرجه البخاري برقم /**3381**/.

- قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ **الأنبياء/87**.
- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ **الأنعام/112**.

مهلاً... مهلاً... هناك استثناء واحد من بين جميع أبناء آدم... تم نزع حظ الشيطان «العلقة المادية» منه... من هو؟!.

تعالوا نتابع حادثة شق قلب النبي ﷺ وكيف تم نزع حظ الشيطان «العلقة المادية» من صدره الشريف.....

الفرع الثاني

حادثة شق صدر النبي ﷺ[1]

أسئلة مطروحة:

- ✓ ما مغزى شق صدر النبي ﷺ؟.
- ✓ ماذا أخذ من صدره؟! وما هيئته؟!.
- ✓ هل كان شيئاً مادياً؟! أم معنوياً؟! ولماذا؟!.
- ✓ لماذا تكررت حادثة شق صدر النبي ﷺ لأكثر من مرة؟!.

عن أنس بن مالك: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ صَدْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ﴾.

ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه «حاضنته سعدية» فقالوا إن محمداً قد قتل.

فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: ((وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره))[2]،«فاستخرج منه علقة»، «العلق التشبث بالشيء، يقال علق الصيد في الحبالة، والعلق الدم الجامد متشبث بعضه ببعض – مادي – محسوس»[3].

فقال: ((هذا حظ الشيطان))، ثم أخرجه من قلبه الشريف.

---

[1]- كتاب بين العقل والقلب الإعجاز المبين د. ماهر جميل بايزيد، ص**73**-**78**.

[2]- رواه مسلم برقم/**262**/.

[3]- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**347**.

الحظ: هو النصيب المقدر[1].

- حادثة شق الصدر تكررت مرة أخرى قبيل الإسراء والمعراج حيث قال ﷺ: ﴿بينَا أنَا في الْحَطيم «وَرُبَّمَا قَالَ في الْحجْر» مُضْطَجع بَيْنَ النَّائم وَالْيَقْظَان أَتَاني آت، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذه إلَى هَذه «يَعْني ثَغْره إلَى شعْرَته» قَال: فَاسْتَخْرَجَ قَلْبي، ثُمَّ حُشيَ ثُمَّ أُعيدَ﴾ [2].

- وبرواية مسلم... ﴿فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِيَّ فَغُسِّلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أَعِيدَ مَكَانُهُ ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحُكْمَةً﴾ [3].

---

[1]- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**130**.

[2]- رواه البخاري برقم/**6-332**/.

[3]- رواه مسلم برقم/**164**/.

الإثبات الخامس

استنتاجات حادثة شق الصدر الحسية

نؤكد أن القلب مستودع المعتقدات والأحاسيس والمشاعر، والمعتقد الإيماني هو نور من الله يستقر في قلب الإنسان.

إن شق الصدر واستخراج القلب المادي ونزع العلقة منه «مادية» لدلالة أكيدة على وجود المورثات السلوكية تسمى الطباع أو «الغرائز»، مجبولة في قلب الإنسان.

بهذه الحادثة تم نزع حظ الشيطان منه فنزع كل مسبب لعمل الشيطان مهما كان ضامراً أو مخفياً فلا ولن يتمكن الشيطان من الاقتراب منه أبداً وبث وسوسته وظنونه الشريرة فيه وكل ذلك تحت العناية الإلهية وحصراً لرسوله الكريم ﷺ عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكُلَّ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمُ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ﴾[1].

فلا حقد ولا غل ولا سخط لعدم وجود حظ من هذا في قلب رسول الله ﷺ فكل دواعي الشر ألغيت مهما صغر فتاته فلن يقتات الشيطان عليه لعدمه، بل استعيض عنه بغسل قلبه بماء زمزم الطاهر النقي وبنور الله الذي أنار قلبه وعقله بالإيمان والأخلاق الحميدة من الرحمة والرأفة والمحبة والسكينة إنه في حفظ الله ومعيته ورعايته وصفاء جوهره وهذه العصمة بما خصه من صفاء الجوهر، ثم بما أولاه من الفضائل الخَلْقية والخُلُقية والنفسية ثم بالنصرة وإنزال السكينة عليه وبحفظ قلبه، قال تعالى: ﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ المائدة/67، تدبروا الآية

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه برقم /8-139/.

الكريمة عندما يدخل المؤمنين الجنة وينتزع من قلوبهم الغل، وهو حظ الشيطان منهم: ونزع الشي جذبه من مقره كنزع العداوة والبغضاء من قلوب المؤمنين.

- قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ **الحجر/47**.

ليس الإيمان إفراز يفرزه الجسم «ليست مادية»، بل نورانية تعطى من الله لمن أراد له الخير، وكان رسولنا ﷺ أولاها- وعليه نزل القرآن، هذا النور المضيء لقلبه الشريف، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ﴿كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللَّهُ الْقُرْآنَ﴾[1].

- قال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ **النور/35**.
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **الشورى/52**.

كيف لا وهو يتحضر لاستقبال القرآن الكريم وهو أعظم أنوار الحكمة فيضيء عقله ليتبصر نور الحكمة الإلهية.

إن الإنسان يحمل في قلبه جميع الموروثات السلوكية «الطباع أو الغرائز- الخلال والخصال الخُلقية كلها» وعلى المؤمن أن يجاهد نفسه لكي يتغلب على مزالق الطبع الإنساني كشهواته وأهواء نفسه بلجم دواعي الشر في قلبه وإضعاف هذه الطاقات السلبية في قلبه لكي يخنث الشيطان من العبث به بوسوساته وظنونه الشريرة.

ويجب أن يبقى الإنسان في مجاهدة مع نفسه حتى لحظة موته خوفاً من ضعف نور الإيمان في قلبه فيضعف واعظ الله في قلبه، فيركن العقل لهوى وشهوة النفس،

---

[1]- رواه مسلم برقم **746**.

لأن كل إنسان معه قرين من الجن يبث وسوسته لفعل الشر، لكن بنور الإيمان والقرآن يقوى واعظ الله في قلبه فيغلب هذا القرين الذي يعبث بالمورثات الضامرة من حقد وحسد وغيرة، فتهدأ النفس المؤمنة المطمئنة وتركن إلى نور الإيمان فتقوى شجرة الإيمان وأوراقها التي فيها محبة وعطاء وخير.

ولهذا فإن القلب أمير البدن والطباع وبصلاح الأمير تصلح الرعية وهذا ما أكده رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾ [1].

في العصر الحديث وبتطور العلوم الطبية استطاع الأطباء أن يستبدلوا القلب المريض بقلب إنسان آخر أو بقلوب اصطناعية.

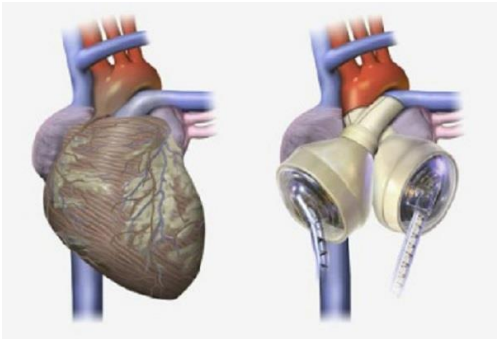

الشكل رقم (**3**)

قلب اصطناعي...قلب طبيعي

كانت المفاجأة أن بعد عملية زرع القلب الاصطناعي يتأثر الإدراك والفهم والمشاعر بل يزداد المريض تشاؤماً وقد يؤدي إلى الانتحار للتغير الكامل في طباع هذا الإنسان ومشاعره، أي تغير كامل في شخصية الإنسان، وكثير منهم من يفقد الإيمان، لأن الإيمان مترسخ في القلب وكذلك المشاعر والمعنويات والهوى والشهوات

---

[1]- رواه البخاري برقم/**52**/ومسلم برقم/**1599**/.

والعقل، حتى الإرادة البشرية تتغير وتتغير المفاهيم الفكرية وهذا ما يثبت أن القلب الطبيعي هو دماغ مصغر يتحكم بكل شيء، حتى أنه يتحكم بالدماغ الأساسي وذلك لوجود عشرات الألوف من الخلايا العصبية المتمايزة والمتطورة في خلايا القلب التي تأمر الدماغ بإفراز الهرمونات وتنظيمها وتنظيم عمله، والقلب هو الكمبيوتر المغذي والمبرمج لكل الجسم، حتى أن مجال الحقل الكهربائي للقلب يؤثر على بقية أعضاء الجسم وخاصة على عمل الدماغ.

هذه الهالة الكهرومغناطيسية تتنافر مع بعض القلوب وتتجاذب مع الأخرى، وكلنا نشعر بهذا ونلاحظه حتى بدقات القلوب ويزداد التواصل مع الآخر أو النفور منه.

ألم يقل رسول الله ﷺ: ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾ [1].

قال الخطابي: ((الأرواح جنود مجندة، إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخَّير من الناس يحن إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت))[2].

بهذه الدراسة التي قمت بها يتأكد لنا أن هذا القلب يحمل في خلاياه المتميزة جداً والمبرمجة بشكل لم يستطع العلماء دراسته، جميع الخلال والصفات الطبعية السلوكية إن كان مؤمناً فإنه يملك قلباً سليماً أبيض لضعف وضمور العلقة المادية «حظ الشيطان» فتضمر فيها لمة الإيعاذ بالشر وتقوى لمة الإيعاذ بالخير، وتنمو شجرة القلب النقية بالإيمان والأخلاق الحميدة وثمارها «الكلام الطيب والعمل الصالح» قال تعالى:

---

[1]- رواه مسلم برقم/**2638**/.

[2]- الأدب المفرد للبخاري ص**373**.

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ **ابراهيم/24-25**.

أما الكافر فإنه يحمل قلباً أسودَ قاسياً لعدم سقايته بنور الإيمان، فتنمو فيه لمة الإيعاذ بالشر لتملأ القلب المشحون بشجرة خبيثة من الكفر والحقد والكره والطبائع السيئة الماكرة وحب الهوى والشهوات والمعصية، فثمارها هالكة، فلا قول ولا عمل صالح، قال تعالى:

- ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ **ابراهيم/26**.

ويشهد لهذا قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذنباً نُكتَ في قَلْبه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِذَا زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عزّ وجل ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ **المطففين/14**﴾[1].

سؤال: هل ممكن أن تنقلب الطباع رأساً على عقب؟!.

تعالوا معاً نتابع لنتأكد مما قيل.....

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة الربعي القزويني: سنن ابن ماجه، رقم/**4234**/.

انقلاب طباع العرب بظهور الإسلام

الفرع الأول

الإثبات السادس

انقلاب الطباع

العرب في الجاهلية وقبل البعثة النبوية كانوا يملكون طباع الجاهلية من الأنفة والمنافسة والكبر والتحاسد والتباغض والحمية وحب المفاخرة، وتعودوا عليها بممارستهم إياها، لكن نور الإسلام أنبت فيهم السلوكيات والطبائع المستورة فظهرت للعلن بفضل من الله عز وجل.

ويصف ابن خلدون حالة العرب الجاهلية أنهم: ((أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خُلق الكِبَر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المُذهِبِ للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس.

فإذا كان فيهم النبي أو الوَلِيُّ الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، ثم

اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيئ لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، وَبُعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات))[1].

فبظهور الإسلام فيهم ومن ظهرانيهم أدى لحدوث انقلاب في جميع مفاهيمهم السائدة وخاصة العقائدية، واستبدلت الصور الذهنية وتنشطت نتيجة تدفق ينابيع العلم والمعرفة فكانت ثورة فكرية غيرت مفاهيمهم وعاداتهم وصححت طبائعهم الأخلاقية وطهرت قلوبهم من المعتقدات والأوهام والخرافات البائدة المتحجرة بعقولهم.

وبسبب هذا النور الساطع الذي أغاث الله عزّ وجل به العرب والإنسانية جمعاء من ظلام الجهل، إلى نور الإسلام تفتحت عقولهم وانقلبت مفاهيمهم رأساً على عقب، واصطبغوا بصبغة الإسلام وبقيمه.

فالانتقام والأخذ بالثأر لم يعد خير الخصال، بل حمية الجاهلية تحولت إلى خضوع واستسلام لله والانقياد لأمره.

فزادت قيم التسامح والتآلف بينهم وأحْيَتْ قلوبهم بنور الإيمان والحكمة:

- قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **الأنعام/122**.

---

[1]- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة، ص**140**، طبعة المكتبة العصرية.

نور الإيمان أضاء عقولهم وبدأ التغير من داخل النفوس، وعنه ﷺ قال في خطبة الوداع، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرِهَا بِالْآبَاءِ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى﴾[1].

وعنه قال ﷺ: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ﴾[2].

تعالوا معاً نستعرض في لقطة سريعة الحوار الذي دار بين النجاشي ملك الحبشة وبين جعفر بن أبي طالب عندما ذهبوا إليه فراراً لدينهم «لاحظوا الترابط بين الجانب التعبدي والسلوكي».

فسألهم النجاشي: ((ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل؟)).

فكان الذي تكلم جعفر بن أبي طالب ﷺ فقال: ((أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش... فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله...))[3].

---

[1]- أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبو داود، رقم/**5116**/.

[2]- أخرجه أبي داود برقم/**5121**/.

[3]- أبي محمد عبد الملك بن هشام المعروف بـ **ابن هشام**: السيرة النبوية، ص**330**.

إن أثر الإسلام كان عظيماً وآثاره عمت الحياة العلمية والمعرفية، والنفس ناطقة لأحوال صاحبها وبالعزيمة والإصرار اقتبسوا العلم والمعرفة والمتابعة وبالممارسة تشربت قلوبهم العلم وصبروا على قلة الحيلة لكي يتمكنوا ويتعودوا على هذا التغير.

عرفوا أنهم طليعة هذه الأمة فجاهدوا أنفسهم وصبروا وتحملوا المشاق فتغيرت النفوس والطباع والعادات ونهلوا من علوم القرآن وسنة المصطفى عليه السلام، وفتحوا الأقطار والبلدان وامتزجت الثقافات واللغات والعلوم واتسعت مداركهم العقلية ووعيهم ومعرفتهم عندها تبلورت خصوصية الأمة وحضارتها .

ففضل الإسلام على العرب كفضل الشمس على الأرض وفضل الماء على التراب.

أسئلة محيرة...

- ✓ كيف يمكن للإنسان أن يحسن من طباعه؟!.
- ✓ ما دور العقل في التحكم بشهوات وطباع الإنسان؟!.
- ✓ ما حقيقة العقل وما دور الإرادة العقلية في ضبط الطباع.

تعالوا معاً لنتعرف.....

حقيقة العقل[1]

إن العقل من أعظم نعم الله عزّ وجل على الإنسانية جمعاء، به عُرِفَ صدق القرآن الكريم، وبه عرفت حجة الرسالة المحمدية وبالعقل تميز الإنسان عن بقية المخلوقات.

العقل: وسيلة وملكة وصفة إنسانية تسعى لإصابة الحق ومعرفته بمسالك كثيرة مترابطة ومحددة له، وفق ضوابط وأحكام شرع الله المحكمة ينتهي بها لتحقيق الغاية الأولى لاستخلاف الإنسان في الأرض، وحمله أمانة الخلافة، ولهذا جعل الله عزّ وجل هذا العقل مناطاً للتكليف الشرعي وهذا هو دور العقل الفعلي الأسمى.

العقل هو ملكة غريزية نورانية معرفية فوق المحسوسات تقوم بإجراء سلوكي فعلي احترازي رقابي، قمعي، ناهي، ضابط، مانع-حاجز، اجتنابي يمنع المحظور، ويضبطه بقوة تمنعه من الانفلات وتحيط وتحجر عليه، مما تدعو إليه النفس لركوب الهوى وحب الشهوات، فينهى ويزجر ويحد من انفلات وشرود الهوى ويكبح الشهوات الشيطانية وارتكاب المعاصي والمنكرات فيحد من طبع النفس الأمارة بالسوء.

---

[1]- بين العقل والقلب والإعجاز المبين د. ماهر جميل بايزيد، ص**21-24**.

وعنه ﷺ قال: ﴿مَن رَأَى مِنكُمْ مُنكَرًا فَلَيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ وَلَيْسَ وَرَاءُ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ﴾[1].

العقل الوسيلة الأساسية لمعرفة الله عزّ وجل بعد أن يفهم هذا العاقل ويدرك ويستوعب منهج الله عزّ وجل الذي وصل عبر رسوله الكريم بالعلم والمعرفة التي هي أداة العقل فيحرسه من الانفلات.

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ **النازعات/40**.

والعقل عقلان:

- ✓ العقل المسموع الواعي ومحله في رأس الإنسان (الدماغ) ونوافذه وبواباته الإدراكية هي البصر والسمع والنطق واللمس والشم وهي تستقبل المعلومات والعلم وتحللها وتوضع بالذاكرة بخيالات وصور ذهنية.
- ✓ والعقل الضابط الواعظ (المطبوع) ومحله قلب الإنسان وهو عقل طبعي وهو أبو العلم يزداد تألقاً بقوة الإيمان المتوقد في قلب الإنسان المؤمن، فيبصر القلب به وهو وعاء جوهر النفس الإنسانية.

وترتقي هذه النفس بسمو هذه الملكة النورانية لهذا قيل: ((ما عُرف الله إلا بالعقل ولا أطيع إلا بالعلم)) فيتناسب ارتقاء هذا الإجراء طرداً مع نور الإيمان ويزداد تألقاً بالعلم والمعرفة وكثرة التجارب.

هذا هو العقل يزداد إعماله حرصاً لتحري الحلال والنهي عن المحرمات والشبهات، ويزداد إعمال العقل تألقاً بازدياد اكتساب المعرفة الدينية وتطبيق شرع الله فيزداد طرداً مع الإدراك والوعي في فهم ما شرعه الله لأن حامله عرف

---

[1]- رواه مسلم.

عواقب الأمور فيقمع هوى نفسه وشهواته الداعية إلى لذة ما توصله إلى معصية الخالق.

بينما الجاهل الأحمق فهو سفيه العقل لا يعرف حلالاً ولا حراماً يمشي بأهوائه وطباعه الذميمة وشهواته الماجنة فلا يمنعه شيء ولا يحده ويكبحه عقلٌ فهو كالبعير بلا عقال يعقله.

- كما قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ **البقرة/171**.

لأنهم انغمسوا في الحياة الدنيا وغرتهم ملذاتها.

- قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ **الأنعام/32**.

والعقل محدود بحدود البوابات الإدراكية التي يملكها الإنسان، ولا يمكن أن يتخطاها، تدل دلالة أكيدة على قصوره، ومحدوديته، فإلى اليوم يعجز العلماء وأدواتهم عن فهم وتفسير الكثير من الأمور الكونية والحوادث التي تحدث فيه.

لهذا ولكي لا تشط عقولنا كانت الرسائل السماوية تعلم الإنسان وتفهمه ضمن حدود إدراكه العقلي واجباته اتجاه خالق الكون لكي يعيش هذا الإنسان بأمان وطمأنينة في أرض الله الواسعة، وهنا تكمن الغاية الأساسية للإنسان، فمن كان يريد الارتقاء والسمو وتزكية النفس فعليه باستنهاض ملكات عقله عندها يعقل آيات الله والمسارعة إلى طلب العون من الله عزّ وجل ليمده بطاقة الإيمان لكي يتدبر آياته في الأنفس والآفاق:

- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **البقرة/242**.

((وكلما كان العبد عارفا بربه، محباً له قائماً بعبوديته ممتثلاً أمره مبتعداً عن نواهيه تحقق له بهذه المعرفة والعبودية اللتين هما غاية الخلق والأمر وكمال الإنسان وسموه المنشود))[1].

عندها يصبح المؤمن العاقل مستعداً لأي امتحان وابتلاء صابراً محتسباً ثابتاً عزيزاً كريماً لأنه يعلم أن هذه الحياة ممر للآخرة.

فالعاقل من يتشبث على الصراط المستقيم في الدنيا ويدفع دفعاً هوى النفس وطباعها المذمومة وشهواتها، ومسالك الباطل عن السبيل.

وفي حديث النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ضَرَبُ اللهِ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعُوجُوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقُ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ﴾[2].

والداعي من فوق الصراط واعظ الله في القلب هو العقل الضابط الواعظ.

ألا يكفينا من العقل أنه يعقل ما حلل الله لنا وما حرم الله علينا، ألا يكفينا من العقل أنه يدل صاحبه على صدق رسالة نبي الرحمة، لكن الحقيقة أن العقل جندي من جنود الله، يرضخ لأمر الله، يملك سلطة الضبط والوعظ على نفس صاحبه وله حدود لا يمكن أن يتخطاها، ويدرك حقائق الأشياء ضمن نطاق محدوديته.

---

[1]- عبد الرزاق بدر: فقه الأسماء الحسنى، دار التوحيد للنشر، ص**19**.

[2]- أبو عبد الله أحمد بن محمد **ابن حنبل**: مسند ابن حنبل.

ولا يمكن أن يكون حكماً طالما هو تحت سيطرة الشرع فكل ما أنكره شرع الله هو منكر ولو تعارف عليه الناس وكل ما عرفه شرع الله هو معروف وإن أنكره الناس، فالعقل أمام النقل راضخ ومزعن ومطيع إطاعة كاملة للنقل، وأما الجهلاء الحمقى فليذهبوا إلى أسواق النخاسة هناك قد يجدون ما يسرهم.

قلوبهم مرآة مشاعرهم ومعتقداتهم، وعقولهم فهي ظلماء كظلمة الليل حقداً وعتواً واستكباراً ودفعاً للحق، يجادلون ويخاصمون من؟!.

إن التصارع والتصادم بين العقل والنقل مرده هوى النفس واستعلاء الأنا على النقل ورفضه جملة وتفصيلاً، فأرادوا الخصومة مع الخالق بتكذيب الوحي، فهل تستوي القلوب المضاءة بنور من الله وقلوب مظلمة كظلمة الليل، لا يستويان.

تعالوا نتعرف على خواص النشاط العقلي.....

الفرع الأول

خواص النشاط العقلي[1]

الإدراك العقلي:

يبدأ عند التكليف عندما يدرك الغلام غاية الصبا ويبلغ الحلم، إن العين وسيلة إدراك الرائي، والأذن وسيلة إدراك الأصوات ضمن القوانين المحددة لها .

والعقل وسيلة إدراك لكن بحدود معينة، فمنه ما يمكن أن تدركه وتفهمه، وهناك ما لا يمكن أن تفهمه وتدركه، فلا يجوز التمادي والانفصال عن الوحي فيتخبط صاحبه كما إذا مسته الشياطين، وغرور العقل يشرد بصاحبه إلى التيه، فالإنسان بعقله كوسيلة إدراك محددة لا يمكنه إدراك كل شيء، ولا الغيبيات فما بالكم بصاحب الغيب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى/ **11**.

الفهم والاستيعاب العقلي:

الفهم هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن، يقال فهمت كذا، والعرب إنما سميت الفهم عقلاً لأن ما فهمته قد قيدته و أوعته بالعقل وضبطته.

والفهم العقلي هو نعمة من اللّه تعالى على عبده، ونور يقذفه اللّه تعالى في قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدرك غيره ولا يعرفه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره[2].

والفهم هو حسن تصور المعنى واستعداد الذهن للاستنباط وبهذا يكون الفهم العملية النهائية التي تبدأ بالإدراك وتنتهي بالفهم والاستيعاب.

---

[1]- د . ماهر جميل بايزيد : بين العقل والقلب الإعجاز المبين، ص**103-148** بالتصرف.

[2]- شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر الشهير **بابن قيّم الجوزية**: تفسير القيم، ص**44**.

إن عملية الفهم تتكون من ثلاثة جوانب وهي:

1- إدراك الكلام.

2- فهم التراكيب اللغوية.

3- فهم الدلالة الذي يعنى بفهم المعنى من اللغة – الاستيعاب[1].

لذا كانت الكلمة مرآة فهم الإنسان، لأن الفهم هو فهم المعنى من الكلمة ومجموع الكلمات تعطي معلومة والمعلومة يستفاد منها لبناء الصور الذهنية لعملية الفهم، فالكلمة هي الوسيلة الأولى لعملية التواصل، والكلمة القرآنية لها سلطانها وطاقتها الايجابية، وقوة الكلمة وسلطانها تأتي من قائلها: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ **الأعراف/144**.

أداة العقل (العلم والمعرفة):

العلم إدراك الشيء بحقيقته، وأشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يستمر على صاحبه، وفضله ينمي عن طالبه.

- قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ **الزمر/9**.

فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل بما قد خص به العالم من فضيلة العلم.

- قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ **العنكبوت/43**.

فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم فيه زجراً[2]، فالعقل يحرس العلم والمعرفة والمعتقدات من الانفلات، وبقدر عقل المرء تكون عبادته.

---

[1]- د. جمعة سيف يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 145.

[2]- أبو الحسن علي بن محمد الشهير بـ **الماوردي**: أدب الدنيا والدين ص**32**-**49** بالتصرف.

الوعي العقلي:

هو شعور الإنسان بنفسه، فيعي ويفهم ويستوعب ويحفظ ما سمعه وشاهده وأحس به «حالة يقظة الوعي»، أما فاقد الوعي فهو كالإنسان المغشي عليه، لا يعي ولا يدرك ما يحيط به «حالة غفلة الوعي»، يقال: ((وعيت الحديث وعياً، أي حفظته وتدبرته))[1].

وقد أثبت العلم وجود خلايا متمايزة ومتطورة جداً في القلب تعمل عمل الذاكرة وحفظ واستيعاب المعلومات وهي أكثر تمايزاً وعملاً من الخلايا الدماغية المسؤولة عن الذاكرة قصيرة الأمد.

لكن هنا صنف من البشر انحرف وعيهم عن الطريق الصحيح لأنهم اتبعوا أهوائهم قال عبيد: ((والشر أخبث ما أوعيت من زاد ويحسب نفسه أنه الأوعى والأفهم والأصح أعمالاً، هذا الصنف هم الأخسرين أعمالاً حقيقة)).

التمييز العقلي:

الفقهاء يقولون: سن التمييز والمراد: سن إذا انتهى إليها عرف مضاره ومنافعه وكأنه مأخوذ من ميزت الأشياء[2].

وأهم ما يميز الإنسان عن بقية المخلوقات أنه سبحانه تعالى نبه العقول على التمييز بين الحسن والقبيح، لكي يتم الانتفاع بالحسن والابتعاد عن القبيح، وما الحسن إلا ما أحله الله، وما القبيح إلا ما حرمه الله عز وجل.

وضرب الله عز وجل أمثال كثيرة لكي ينبه العقول على التمييز بين استحسان فعل واستقباح فعل آخر، ولا يتم هذا إلا بعد معرفة وعلم.

---

[1]- أحمد بن محمد الفيومي **المقرئ**: معجم المصباح المنير، ص**418**.

[2]- المقرئ: معجم المصباح المنير، ص**367**.

والأحمق: هو الذي يجهل عيوب نفسه إما لقلة علمه وتمييزه وضعف فكرته، وإما لأنه يعتبر أن عيوبه خصال، وهذا أشد عيب في الأرض، ومن الناس كثير يفخرون بالزنا واللياطة والسرقة والظلم، فيعجب بتآتي هذه النجوس له وبقوته على هذه المخازي[1].

التفكير العقلي (العقل وصراع الأفكار):

- قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **النحل/44**.

إن التفكير المستقيم فريضة وعبادة وأخلاق لأن المؤمن العاقل مطالب بأن يعمل فكره في كل مناحي حياته وعبادته ليزداد سمواً بالتفكير فيما أبدع خالق الكون فيزداد معرفة وعبودية وخشية منه.

عبادة التفكر تزداد قوة بغرس الأفكار المستنيرة وتنميتها بالعلم النافع.

مادة (التفكر) تكررت في القرآن في ثمانية عشر موضعاً، كلها بصيغة المضارع – تتفكرون «يتفكروا» يتفكرون، إلا في موضع واحد بصيغة الماضي.

لأن التفكر هو المحرك الأساسي لجميع نشاطات الجسم لكي تظهر الفكرة أعمالاً.

الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[2].

---

[1]- أبو محمد علي بن أحمد **ابن حزم الأندلسي**: الأخلاق واليسر في مداواة النفوس ص106.

[2]- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ص**386**.

الفكر... تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ويقال الفكر: ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً[1].

ويقال: أفكر في الأمر، يفكر، فكراً: أي أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم[2].

كيف تتشكل الفكرة: تتشكل نتاج لمجموعة عناصر ومعلومات تظهر بانطباعات حسية «صور ذهنية خيالية» تصقل وتزداد تألقاً بروافد العلوم المعرفية وكثرة التجارب، لهذا كانت قوة التفكير تتناسب طرداً مع درجة العلوم المعرفية.

التفكير العقلي: هو استرجاع ما تعلمناه وتعرفنا عليه ثم أوعيناه في داخلنا كصور ذهنية، لذا يعرف التفكير بأنه تجربة ذهنية وليست تجربة فعلية يدرك فيها الإنسان بعض الملاحظات فيربط السبب بالنتيجة والعلة بالمعلول ليصل إلى قناعة لحالة ما، أو استفسار ما ينتج حلاً لها.

أدوات بناء الفكرة:

1) استعداد العقل بالمعرفة والعلم، يسهم في نشوء صور ذهنية مولدة للفكرة، منها صور حسية بصرية، صورة ذهنية سمعية بصرية.
2) خصوبة الخيال العقلي وما يسمى بالإلهام الفكري.
3) أن تكون الفكرة قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.

وأهم المحفزات في عملية بناء الفكرة هو الخاطرة الذهنية – الإلهام – الوحي – الرؤيا الصادقة – حديث المرء مع نفسه.

---

[1]- المقرئ، المصباح المنير، ص**298**.

[2]- معجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة فكر.

الإلهام: وهو من الله عز وجل ويكون إلهام بفعل الخير وكان رسول الله ﷺ يدعوا: ﴿اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رَشَدِي وَقِنِّي شَرَّ نَفْسِي﴾ [1].

هذا الإلهام قد يكون إيحاء أو وعظ ولا يعطى إلا للمؤمن، قال ﷺ: ﴿وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلُّ مُسْلِمٌ﴾ [2].

الرؤيا الصادقة: قال ﷺ: ﴿لَمْ يُبْقِ مِنَ النُبُوَّة إِلَّا الْمُبَشِّرَات قِيلَ: وَمَا الْمُبَشِّرَات، يَا رَسُولِ اللهِ ؟ قَالَ: الرُؤْيَا الصَّادِقَةُ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ﴾ [3].

عندها يتحفز المؤمن على بلورة الفكرة التي قد تتحول إلى عمل مقبول شرط النية الخالصة على إمضاء الأمر.

إذاً هذه المحفزات أساس لعملية بناء الفكرة، والأفكار تتجمع لتعطي ما يسمى بالمدركات، مشكّلة المعتقد –المفاهيم– التي تنطبع في القلب، فيصطبغ المرء بها، وبأن معتقداته ومفاهيمه صحيحة أو منحرفة.

ولكي نربط بين الإرادة العقلية والطباع السلوكية، علينا أن نعرف بعض الصفات الفعلية السلوكية لحراسة النفس البشرية من الشهوات المدمرة والطباع الذميمة.

تعالوا معاً لنتعرف على الإثبات السابق...

---

[1]- رواه الترمذي برقم /3483/.

[2]- رواه الترمذي برقم /2859/ – جزء من الحديث.

[3]- رواه الترمذي برقم /6990/.

الفرع الثاني

الإثبات السابع

الإجراء العقلي الفعلي السلوكي الضابط للطباع

العقل يقوم بإجراء فعلي ضابط للنفس من زجر ونهي وحجر واجتناب المحظور، ومن فلتان هواها وشهواتها، لأن النفس البشرية تحمل أطباعاً شتى، كالطبع الاستكباري والغضبي والانحرافي والاستعلائي، الرياءي والأناني والانتهازي...وها هي بعض الصفات العقلية الفعلية:

- الواعظ العقلي، قال ﷺ: ﴿وَاعِظُ اللّه فِي قَلْبِ كُلُّ مُسْلِمُ﴾ يدفعه على عمل الخير ويمنعه من عمل الشر مقروناً بالتخويف من عقاب اللّه.

النهي صفة عقلية فعلية سلوكية

- النُهى هي العقول التي تنهى عن القبيح[1].
- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُهَى﴾ طه/**54**.
- ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات/**41-40**.

فأهل العقول الناهية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والإنهاء في الأصل: بلاغ النهي.

---

[1]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر **الرازي**: مختار الصحاح، ص**585**.

- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ **الحشر/7**.

اجتناب المحظور صفة عقلية : هو الابتعاد عنه نهائياً لأن الاجتناب أبلغ من قول اتركوه وهو فعل عقلي.

- قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ **النساء/31**.

الحِجْر صفة عقلية سلوكية فعلية : الحِجْر «معنى المنع لما يحصل فيه فقيل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعوا إليه نفسه»[1].

- قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ **الفجر/5**.

إن أعظم ما أقسم الله به العقل، والحجر كل مادته تدور على الإحكام والقوة، فالحجر لقوته، والحجرة لإحكام ما فيها، والعقل سمي حِجراً لأنه يحجر صاحبه عما لا يليق[2].

الحِلم صفة عقلية فعلية سلوكية :

والحِلم «ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام».

- قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم﴾ **الطور/32**.

قيل معناه عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، ولكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل[3].

---

[1]- المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**116**.

[2]- محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر، ص**2114**.

[3]- مفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**136**.

هذه الصفات العقلية الضابطة تمكن المؤمن من أن يكون من أهل العقول الرشيدة التي تحسن التصرف، وسمي إحسان التصرف عقلاً، لأن الإنسان عقل تصرفه فيما ينفعه، ويحترز من التصرفات الرعناء، فيتدبر الأمر بروية وفطنة، ويتبين مكمن المشكلة لإيجاد أحسن الحلول وأفضل التصرفات إزاء أي موقف يتعرض له فيضبط الطباع الغضبية بالحلم وتؤده، هذه الصفات العقلية الفعلية للعقل الرشيد وكل مسمى للعقل له معنى ولا يمكن تبديل مسمى مكان آخر، أما العقل المدرك هو مناط التكليف وهو إدراك الأشياء وفهمها وهو الذي يتكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات وغيرها.

إذاً العقل يقوم بإجراء فعلي سلوكي ضابط مقروناً بالتخويف من غضب الله وعقابه، ليتذكر العبد بترك المنكر وفعل الخير، فيما يرق له القلب ويصلح باله.

والبال: هو مكان نشوء الخواطر والحال التي يكترث بها ويعبَّر بالبال عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان[1]، فيقال خطر كذا على بالي فكرة أو خاطرة، والبال هو موضع الفكر وأساسه العقل.

- قال تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ **محمد/5**.

وقيل للإمام عليَّ كرَّم الله وجهه صف لنا العقل، فقال ﷺ: ((كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل غيّك من رشدك))[2].

والآن تعالوا نتابع كيف يمكن للمؤمن العاقل أن يكيف إرادته وسعيه لتحسين وإظهار طبائعه الخلقية الجيدة.

تعالوا معاً.....

---

[1] - مفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص**45**.

[2] - نهج البلاغة للإمام عليَّ كرم الله وجهه، شرح الشيخ محمد عبده، ص**500**.

الفرع الثالث

الضبط العقلي للطباع السلوكية[1]

خصَّ الله عزّ وجل الإنسان بالتحكم في إرادته والقدرة على توجيهها تخيراً إما باتجاه إرادة البناء والترقي لتصل بصاحبها إلى الطريق المستقيم وجنة عرضها السموات والأرض، وإما باتجاه إرادة الهدم والانحدار لتصل بصاحبها إلى الهاوية، وسعي الإنسان وعمله وكفاحه في هذه الحياة يقع على عاتقه ومسؤوليته لأنه إنسان مخير لا مسير.

فيا ابن آدم هي خريطة مرسومة، ولك أن تختار الطريق والسبيل وتسعى إما شاكراً مؤمناً، وعندئذ تكون قد حققت الغاية والهدف من وجودك على هذه الأرض بالإيمان بالله والشكر على نعمه، وإما جاحداً كافراً.

- قال تعالى:﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ **الإنسان/3**.

فلو كان الإنسان مجبراً على طاعة الله لبطل الثواب ولا حاجة لآيات الثواب في القرآن ولو كان مجبراً على أعماله، فلا حاجة لآيات الأمر والنهي في القرآن ولو كان مجبراً على المعصية لبطل العقاب ولا حاجة لآيات العقاب في القرآن ولا للجنة ولا للنار.

فبكل وضوح الأوامر والنواهي والثواب والعقاب تؤكد أن الإنسان له حرية الاختيار وحكمة وجود يوم القيامة هو للحساب على الأعمال التي قام بها الإنسان لأنه يملك إرادة يتحكم بها، ومكلف بالتكاليف الشرعية.

---

[1]- د. ماهر جميل بايزيد: بين العقل والقلب الإعجاز المبين، ص**155-170** بتصرف.

هو يعرف نفسه ويعرف ما يريد وكيف يريد.

- قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ **الانفطار/5**.
- ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴿14﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ **القيامة/14-15**.

وسعي الإنسان في هذه الحياة باتجاهات مختلفة حسب إرادته ومشيئته:

- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ **الليل/4**.

أعمالكم منكم وإليكم من سعيكم واختياركم ومسؤوليتكم، وسوف تحاسبون عليها ولكم الجزاء.

ويروى عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال:

((من حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراهاً ولا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة، لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، ولو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب ولو أجبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب ولو أهملهم لكان ذلك عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم))[1].

لكن مشيئة الله هي العليا النافذة الحاكمة العادلة فهو أعلم بعباده يعلم من كان من أهل النار، فهو من أهل النار، وسيعمل هذا الإنسان بعمل أهل النار في الدنيا، فيكون من أهل الشقاوة ومن كان من أهل السعادة، فيعمل في هذه الدنيا بعمل أهل الجنة.

لكن إليكم التعليل الشافي حول هذا الموضوع... تعالوا معاً نقرأ:

---

[1]- د. محمد راتب النابلسي: نظرات في الإسلام، ص**48**.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ تَفْتَدِي بِهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتُ إِلَّا الشِّرْكَ﴾[1].

الله تعالى عادل وحكمته نافذة، تمعنوا في الحديث كيف أن الكافر أبى إلا أن يشرك بربه وهو في الذر، «فأبيت إلا الشرك» أبى إلا الشرك وكفر بربه، إذاً هو من أهل الشقاوة وفي ظلمة دائمة.

وعنه ﷺ قال: ﴿الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[2].

والآخر أمن وأطاع فكان من أهل السعادة، قال رسول الله ﷺ: ﴿اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ﴾[3].

لأنه عليم بمن يستحق الهداية فيسر حاله ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة[4].

---

[1]- رواه البخاري برقم /3334/.

[2]- سنن أبي داود برقم /4705/.

[3]- رواه مسلم برقم /2647/.

[4]- مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج**3**، ص**582**.

الإثبات الثامن

عملية الوسم النوراني للمؤمن ولطباعه الخُلقية

الوسم النوراني بدأ من الذر، قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ النور/35، أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره، كما جاء في الحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقه فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِه يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْ نُورِه يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَ ضَلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عزِّ وَجَلَّ﴾ [1].

واستمرار الوسم النوراني في مرحلة الطفولة، وتعليم الأهل للطفل دينه، فالقرآن هو نور والإيمان نور والحكمة نور، فينشرح القلب ويصبح قلبه كالقنديل فتضاء معه كل الطباع والسجايا الخُلقية وتنمو، عنه ﷺ قال: ﴿ الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجَرَّدَ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ...فَأَمَّا الْقَلْبِ الْأَجْرَدِ فَقَلْبِ الْمُؤْمِنِ سِرَاجُهُ فِيهِ نُورٌ...﴾ [2].

بهذا تكون طباع المؤمن التقي موسومة بنور الإيمان ونور القرآن ونور الحكمة، فيضيء قلبه كالمصباح من مشكاة الربوبية فتضاء أخلاقه:

- قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ الحديد/28.

أما الكافر أبى إلا أن يظل في الظلمة.

- قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ النور/40.

أي من لم يهده الله فهو هالك جاهل بائر كافر.

- كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ الأعراف/186.

---

[1]- أخرجه أحمد – مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج2، ص605.

[2]- أخرجه أحمد، جزء من الحديث.

وعنه ﷺ قال: ﴿...وَقَلْبٌ أَغَلَّفَ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ...وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ...﴾[1] لا يدخله نور الإيمان ولا نور العقل ولا نور الحكمة إنه مغطى بأغلفة وحجب قاسية كقساوة قلبه فيطبع على قلبه أنه كافر وسجاياه مثل قلبه متحجرة، فالكافر يتقلب في خمسة ظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة ظلمة[2].

- قال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ **البقرة/257**.

فهنيئاً لك أيها المؤمن بهذه الأنوار والطاقات الإيجابية التي تمدك في حياتك إلى أن تلقى الله عزَّ وجل وهو راضٍ عنك وعنا بإذن الله.

---

[1]- أخرجه أحمد، جزء من الحديث.

[2]- مختصر تفسير ابن كثير، ج**2**، ص**610**.

الإثبات التاسع

ظهور الطباع وصراع الإرادات العقلية

تعريف الإرادة:

هي السعي في طلب الشيء ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ الليل/**4**.

والإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل وجعل اسماً لنزوغ النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل[1].

ثلاث بواعث تحفز الإنسان إلى إرادة السعي في طلب الشيء:

1- باعث الشهوة أو اللذة (الشعور بالحب) يأتي من خاطرة أو حديث نفس، وهنا تلعب الطباع الدور في تقوية هذا الباعث.

2- باعث الحاجة أو الدافع أو الميل وهنا تتشكل صورة ذهنية كفكرة تدفعه لعمله.

3- باعث (حالة التروي): وهي مرحلة يتدافع فيها أحد الميلين على الآخر، ميل إيجابي وميل سلبي إلى أن تسيطر الرغبة لأحد الميلين وهنا الدور للعقل في اختياره.

فيأتي العزم والتصميم على العمل به وهنا ملاحظة هامة يجب أن نميز بين الإرادة ومجرد الرغبة.

فالرغبة سيطرة ميل على الآخر مثلاً: تمني الخير وليس عمله، والإرادة هي نتيجة حتمية لتبلور فكرة ما في عقل صاحبها يسعى لتنفيذها، فالتفكير في الشيء يسبق العمل به حتماً.

---

[1]- الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، ص**212**.

إذاً فأصل كل فعل أو حركة من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات كما أن مبدأ كل ترك وكف، وخاصية العقل التمييز بين مراتب المحبوبات والمكروهات، بقوة العلم والتمييز[1].

هذه الإرادة لعمل ما، أو فعل أو قول لا تظهر قبل عملية استحكام القصد الذي هو نية القصد.

فإذا استحكم القصد «النية» صار «عزماً» جازماً و«العزم» هي عقد القلب العقلي على إمضاء الأمر.

يقال عزمت الأمر على فعله وإمضائه لكن نجاحه وقبوله يعتمد التوكل على الله.

- قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران/**159**.

إذاً العزم هو أخذ القرار لإرادة الفعل والعمل وإمضاء الرأي وعدم التردد بعد تبين السداد وتأتي بمحل الهم أي ما هممت به في نفسك.

يقول ابن منظور في معنى الإرادة: ((معنى يتعلق بالجانب العقلي، والمراد به التفضيل والاختيار))[2].

هذا التفضيل والاختيار غاية من الغايات المتصارعة فالإرادة هي العزم على العمل أو الفعل أو القول وهي المحرك للسلوك الإنساني القولي والفعلي.

وبما أن الإرادة تصدر عن مرتبه سامية ورفيعة هي مرتبة العقل، «لأن الإرادة من صفات العقلاء»، فهي تتعارض مع الغريزة أو الشهوة وإن كان لهما أثر كبير في إقناع العقل باختيار ما تدعو إليه، وتزين ذلك له باعتباره مصلحة للإنسان، والحاصل أن الإرادة تكمن خلف جميع النشاطات الإنسانية، لكون جميع تلك النشاطات صادرة عن اختيار العقل واعتداله لها وتلك هي الإرادة، والهمة هي

---

[1]- ابن القيم: إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، ص**419**.

[2]- قاموس المحيط مادة (أراد).

مستوى عال من الإرادة التي تواجه العقبات الكبيرة بالثبات والصمود، وهذه الإرادة من شأنها أن تنهض بالإنسان إلى معالي الأمور، ويوصل بها إلى مراتب الصابرين.

فوجه الارتباط بين الهمة والإرادة واضح جلي، فبالهمة والإرادة يصل الإنسان إلى المراتب السامية، والرفيعة، ولذلك يقول الشرباصي: ((الرائد: هو الذي يتقدم القوم طالباً الخير ومما يدل على ارتباطهما ما قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:

○ ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة/**45**.

معظم الفضائل ملاكها الصبر، والفضائل تنبعث عن مكارم الأخلاق والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة، فمن كانت له إرادة قوية وهمة عالية سعى وراء عاليات الأمور واشتاقت نفسه للحصول على الكمال))[1].

والناس تسعى فمن كانت غايته ونهاية مطلبه هو الحب لله وحده وعبادته ومعرفته وتطبيق شرعه كان عمله مقبولاً ويؤجر عليه وتظهر السلوكيات المحبوبة منه.

لذا كانت النية هامة قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الأَعْمَالُ بَالنِيَات، وَإِنَّمَا لكل امرئ مَا نَوَى، فمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللّه وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللّه وَرَسُوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيا يُصيبُهَا، أو امْرَأة يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُه إِلَى مَا هَاجَرَ إليه﴾ [2].

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَخْلَصَ نِيَّتُكَ، يَكْفِيكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ﴾ [3].

هنا لا بد من التفريق بين الإرادات!.

---

[1]- عبد العزيز بن سالم شامان الرويلي: الهمة في ضوء القرآن الكريم، ص**40-41**.

[2]- رواه البخاري رقم **1**.

[3]- رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله **الحاكم** النيسابوري.

هذا التفريق يعتمد اعتماداً كلياً على محتوى القلب وما وعى من الطباع الظاهرة والمستورة ومن الشهوات واختيار العقل، وبما أن العقل وهو مركز الإرادة الإنسانية فصلاحه صلاح إرادته وفساده فساد إرادته، فالإرادة هي المحرك الداخلي للإنسان فكلما دفعت بقوة العزيمة والإصرار على تنفيذ عمل ما تسمى (الإرادة المانحة) والعكس صحيح تسمى (الإرادة الكابحة) أو المانعة فهنا الذي يسيطر على هذه القوى، إما بواعث الخير أو الشر في قلب الإنسان، فإن طغت بواعث الخير فيه لكثرة الطباع الخيرة كحب العطاء وعمل الخير وحب التواصي بالحق انبثقت قوة عظيمة في داخله لعمل الخير، وهنالك قوة إرادية سلبية مانعة لعمل الخير، محبة لعمل الشر قوة صلبة صارمة، شيطانية لكثرة الخلال الطبعية المذمومة، كحب المعصية، الاستعلاء، المفاخرة، التسلط، الأنانية، الاستكبار، الرياء، فتحركها أهواؤه وشهواته.

يصدر هذا الإنسان إرادة مانعة لعمل الخير، شغوفة لعمل القبائح والمعاصي وهو صوت الشر، وخُلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

- قال قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ **البقرة/268**.

والفقر هنا بكل أنواعه كافتقار الطمأنينة والأمن والأمان والقيم الأخلاقية إذاً ينبع أصل فعل الخير للمؤمن من محبة الله ورسوله وإرادته المانحة للعطاء الإيجابي، والبغض والكراهية لله عزّ وجل مبدأ كل ترك لكل ما نهى الله عزّ وجل ورسوله عنه.

فالمؤمن عندها يصرف شهواته ويضعها بما يريد الله عزّ وجل كشهوة النساء حَوَّلها إلى زواج صالح، فإعمال العقل أدى لدفع وزجر ونهى وحجر أهواء النفس فقيدها بذكر الله والتمسك بأوامر الله وهي حالة المجاهدة مع النفس.

هذه المعركة بين بواعث الخير والشر في القلب نتيجة وجود طباع تحب الخير وأخرى تحب الشر هي معركة صراع الإرادات.

إنها صراع افعل أو لا تفعل تتصارع في القلب فمن كان نور إيمانه قوياً ونور عقله ناضجاً وحارساً للنفس البشرية كان عمله صالحاً.

وتظهر إرادة عمل الواجب آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، هي سر النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة كإرادة العطاء والصفح وجبر الخواطر والإنفاق هذا هو واجب المؤمن اتجاه الآخرين.

إنهم عباد الله الذين أصروا على العمل الصالح لأنفسهم وللآخرين يصلحون ذات البين... يمشون بحاجة الآخرين إنهم في دار تكليف، دائماً يتحرون الخير لأن الخير أصبح عادة عندهم وسجية فيتطبعون بها وينادون باسمها.

- كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا﴾ **فصلت/46**.

لقد أحسنوا لأنفسهم أولاً فضبطوا إرادتهم ونيتهم لعمل الواجب، والاستسلام لله عزَّ وجل ولأوامره فكان لاختيارهم أثر عظيم في حياتهم فصقلت نفوسهم بالقيم السليمة، وارتفعت فيهم قيمة الكرامة والعزة والنخوة والفضيلة لأنهم استجابوا لله عزّ وجل ولرسوله فكانوا مثال يحتذى بهم كخلفاء الله في الأرض.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ **الأنفال/24**.

لا تأتي الفضائل والأخلاق إلا بالعلم والمعرفة وأهمها معرفة العبودية لله قال معاذ بن جبل ﷺ: ((العاقل إذا ذل تدارك ذلك بالتوبة، بالعقل الذي قسم له، والجاهل إنما هو بمنزلة الذي يبني ويهدم، فيأتيه من جهله، ما يفسد صالح عمله)).

ولذلك جاء في الحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

﴿وَرَجُلٌ دَعَتْه امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنَّ أَخَافُ اللهَ﴾[1].

---

[1]- رواه البخاري.

فالخوف والوجل من الله عزّ وجل تزيد تعقل المؤمن، لأن المنكر تنكره العقول وتنكره الشرائع لأنه بعيد عن الحياء والحياء شعبة من الإيمان، قال العلماء: ((حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق الحق)).

المؤمن العاقل الذي عَبَّد عقله لرب العقول و عَبَّد إرادته ومشيئته لرب العقول وعبدَّ طباعه لخالقها ولا يشاء العبد إلا بمشيئة الله وإرادته لأنه المعبود، فكل المخلوقين عباد الله لا يخرجون قيد أنملة عن إرادته ولا عن مشيئته.

- ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ **مريم/93**.

فالمسلم أقر بالألوهية لله فأخضع إرادته ومشيئته وسلوكياته واستسلم لله حباً وطمعاً.

- ولهذا قال ﷺ: ﴿أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضِ فِي اللهِ﴾[1].
- وقال ﷺ: ﴿مِنْ أَحَبَّ للهِ وَأَبْغَضَ للهِ وَأَعْطَى للهِ وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانُ﴾[2].

فإن الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: عمل القلب حباً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلاً وتركاً وهما العطاء والمنع فإذا كانت هذه الأصول الأربعة لله تعالى، كان صاحبها مستكمل للإيمان، وما نقص منها فكان لغير الله، نقصت من إيمانه بحسبه[3].

---

[1]- رواه أحمد في مسنده.

[2]- رواه أبي داود برقم/**4681**/.

[3]- ابن القيم: إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، ص420.

فالخوف والرجاء ممزوجة بالمحبة لله ورسوله تنبع من حسن معرفة الله عزّ وجل فذكره يزيد العبد خوفاً ورجاءً وأجراً.

عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ:

- ﴿أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِّكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتُضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيُضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ﴾ [1].

وهنا علينا أن نتدبر الحديث ملياً فالمجاهد في سبيل الله هو ذاكر الله دائماً.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ **الأنفال/45**.

الذي ينفق في سبيل الله هو ذاكر في لسانه وينفق في يده أي المؤمن العاقل إرادته القولية دائماً مسبوقة بذكر الله ومترافقة بإرادته الفعلية بأعمال الخير والبر.

روى عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأل فقال: ﴿أَيَّ الْمُجَاهِدِينَ أَعْظَمَ أَجْرًا ؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لله تُبَارَكُ وَتَعَالَى ذِكْرًا، قَالَ فَأَيُّ الصَّالِحِينَ أَعْظَمَ أَجْرًا؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لله تُبَارَكُ وَتَعَالَى ذِكْرًا، ثُمَّ ذِكْرُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصِّدْقَةِ كُلَّ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَكْثَرَهُمْ لله تُبَارَكُ وَتَعَالَى ذِكْرًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرُ: يَا أَبَا حَفْصٍ، ذَهَبَ الذَّاكِرِينَ بِكُلِّ خَيْرٍ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَجَلْ﴾[2].

قيلَ لرَسُول الله ﷺ: ﴿أَيَّ النَّاس أَفْضَلَ قَالَ كُلَّ مَخْمُومُ الْقَلْبَ صَدُوقُ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقَ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبَ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمٌ فِيهِ وَلَا بَغِيٌّ

---

[1]- رواه أحمد في مسنده.

[2]- رواه أحمد في مسنده.

وَلَا غُلٌّ وَلَا حَسَدٌ﴾[1]، قلب نقي سليم أبيض من الثلج، نور إيمانه أنار عقله وطباعه فلا غل ولا حقد ولا حسد.

هذه التوجيهات الإيمانية بحاجة إلى عقل ضابط وضمير يقظ حي يرفض الدنايا وقبائح الأمور، ويحجر على تصرفات السوء ويحرس الحدود والحقوق، والعقل للإيمان كالبصر في الأبدان، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقته الجوارح بالعمل لكن المظلة التي تحكم هذه العلاقات بين الإيمان والعمل هو الإحسان وهذا ما سأله رسولنا ﷺ لجبريل... قال: ﴿فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟، قال: الإِحْسَانُ أَنْ تُعَبِّدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ﴾[2].

الإحسان فريضة مكتوبة في كل عمل نقوم به فهو أساس العبادات التعاملية السلوكية مع الأهل، الأقارب، في العمل، في تربية الأولاد ومع الحيوان، مع النبات في كل مناحي الحياة.

- قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

وإتقان العمل هو أعظم الإحسان، ولهذا قيل: الناس أبناء ما يحسنون من الأفعال:

- ﴿إِنّ اللّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ﴾[4].

فإرادة العمل الطيب والنافع مرهونة بك يا صاحب العقل لدنياك ولآخرتك:

- ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ **الإسراء/7**.

---

[1]- رواه ابن ماجة في سننه برقم/**3416**/.

[2]- رواه البخاري رقم/**50**/، جزء من الحديث.

[3]- رواه البخاري، جزء من الحديث.

[4]- رواه مسلم.

وطرق الإحسان كثيرة ولا يجيدها إلا أهل الهمة والعزم والصبر والله عزّ وجل دائماً مع المحسنين فلا يحجبون إحسانهم لأحد.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **العنكبوت/69**، فهنيئاً من تكون إرادته وهمته على الطريق المستقيم.

اللهم لا تحجب إحسانك عنا بتقصيرنا، ولا تمنع عنا فضلك بغفلتنا، واجعلنا شاكرين لنعمك، راضين بقضائك متلذذين بذكرك، طامعين برضاك.

- قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ **الحج/24**.

هل للبيئة الاجتماعية والجغرافية تأثير في توريث الطباع السلوكية للأجيال؟!.

تعالوا معاً لنعرف الإجابة....

تأثير البيئة الاجتماعية وتوريث الطباع السلوكية للأجيال القادمة

الفرع الأول

الإثبات العاشر

أثر البيئة الاجتماعية في توريث الطباع

تحدثنا سابقاً عن المادة الوراثية الجسمية – التي تنقل الصفات والأمراض الجسمية من جيل لآخر هذه المادة الوراثية الموجودة في /100/تريليون خلية تشكل جسم الإنسان، لو مدت تساوي عشرين ضعفاً المسافة بين الأرض والشمس[1].

حيث أن لو مدَّ (DNA) بشكل كامل فقط في خلية واحدة لكان طوله متران أو ستة أقدام، وذلك لأن الشيفرة الوراثية الجسمية تشرح عمل جسم الإنسان مكونة

[1]- كيفن ديفس: الجينوم كسر شفرة المورثات ص**56**.

من ثلاثة بلايين حرف المسافة بين رمزين متجاورين في الشيفرة الوراثية 0.34 نانو متر، سبحان الله.

لكن حديثنا الآن عن المورثات السلوكية والتي تسمى الطباع الخُلقية المغروزة في قلب الإنسان، وهي تتوارث من جيل لآخر، حتى ينادى الشخص بطعبه، ومادتها شبيهة جداً بمادة المورثات الجسمية من (DNA)، لكن الذي يميز هذه الطباع السلوكية هي تأثرها الشديد بالبيئة الاجتماعية والمعتقد الذي تملكه هذه البيئة، ولا يعلم عدد الطباع السلوكية –السجايا– إلا الله عز وجل، مثل: الطبع الهادئ، المزاجي، العصبي، الانفعالي، العدواني، الصابر، المتسامح، الحليم، الكريم، البخيل، الصادق، المسالم، الانتهازي، الخبيث، اللئيم، الحاقد، الحاسد، اللين، الطيب، المتكبر، المتغطرس، المستبد، المتواضع، الرحيم، الانطوائي، الباغي، الاستعلائي، طبع الرفق والليونة، طبع حب المال، حب العطاء، حب الأمانة، الحياء، الطبع النظامي، الفوضوي، طبع اليقيني، المنحرف، الطبع الظني، كلها مورثات سلوكية تؤثر في نفس الإنسان وتظهر بها طباعاً تنعكس على مظهره وعلى حياته، وعنه ﷺ قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ﴾[1].

ويوجد هرمونات في الدماغ بل وفي القلب تفرزها النواقل العصبية مثل: الدوبامين – ويسمى هرمون السعادة، هرمون السيروتونين، يسمى هرمون الاكتئاب، وهرمون الأدرينالين وهرمون النور أدرينالين، هرمون الاكسيتوسين (هرمون الألفة والمحبة) هذه الهرمونات تتحكم في مزاجنا وشعورنا وسعادتنا وتؤثر على المورثات السلوكية الطبعية، وسيتم شرحها لاحقاً.

إن السلوك والأخلاق والعادات والمواهب وإنماء العقل والشخصية يعتمد بشكل كبير على البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد وعلى التربية، فإذا كانت جميع معطيات البيئة سلبية: جرائم – أمراض وبائية واجتماعية – تخلّف – شعوذات –

---

[1]- أخرجه مسلم برقم /**2655**/.

النتيجة الحتمية لها ضعف السلوك والأخلاق والمعتقد الديني وتهاوي العقول لشطط الفكر وانحلاله في المجتمع، نتيجة كثرة الصور الذهنية الخاوية والمثبطة التي يحملها أكثر أفراد هذه المجتمعات ستولد حتماً أفكار واهية للأشخاص قد يجنح بعضهم لارتكاب الجرائم والشذوذ فتنطفئ شعلة العقل وتقوى طباع الشر ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ص/**26**، وعلى العكس، عندما تكون الحاضنة الاجتماعية والمدرسية وصحبة الأخيار والأهل ذات السمعة الطيبة والمعتقد والأعراف الصالحة تحف الإنسان ليرتقي ويربو في المنبت الصالح والمعتقد الصالح.

- ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾ **الأعراف/58**.

بهذا تنوسم الطباع المطبوعة في قلب الإنسان والمجبولة فيه بنور الإيمان وشعلة العقل فتزداد تألقاً فينمو ويربو بها الإنسان بفكر صالح ومعتقد سليم فتزداد دواعي الخير في قلبه، ويورثها لذريته.

وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ الْوُدَّ يُتَوَارَثُ﴾ [1]، حفظ المودة طبع ليس يحسنه إلا كريم على الإحسان مجبول.

إن انحراف فطرة الإنسان تحت تأثير البيئة الاجتماعية والعادات والتقاليد ومعتقدات الأهل والأصحاب لها أثر بالغ في تقوية بذور الطباع الذميمة حتى أنها تصبح سائدة نتيجة مزاولتها والتعود عليها فتصبح سجايا وملكات طبعية لحاملها، وطالما هؤلاء الناس تحت تأثير هذه البيئة التي تحمل طاقة سلبية إضافة إلى هواها الذي يقود هذه النفوس المريضة فيزداد الانحراف إلى أن يتجه للضلال نتيجة وهن العقول فيضعف الفهم والتفكير المستقيم لديهم، وكله يعود لحب الهوى، وما الهوى إلا ميل الطبع إلى ما يلائمه، فتميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات،

---

[1]- رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم /**43**/.

فكلما كان طبع الإنسان ميالاً لهوى النفس، كلما ابتعد عن التكاليف الشرعية وعن وعي العقل، فمن اتبع هواه يصبح معبوده.

- قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ﴿69﴾ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ **الصافات/69-70**.

هناك أمثلة كثيرة تثبت توريث الطباع السلوكية للأجيال القادمة.

- قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴿26﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ **نوح/26-27**.

((أي ولا يأتي من أصلابهم إلا كل فاجر وكافر، قال الإمام الفخر: فإن قيل كيف عرف نوح ذلك؟ قلنا: بالاستقراء، فإنه فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فعرف طباعهم وجربهم))[1].

وقوم لوط تعودوا على إتيان الرجال شهوة من دون النساء، فاستقر في قلوبهم وطباعهم حب الفاحشة، قال تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ﴿80﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ **الأعراف/80-81**.

إن المعتقدات الاجتماعية البيئية تفرز رسائل يتلقاها الولد فإما أن ينمو الوازع الديني «الفطرة السليمة» أو تخبو فطرته، لأنها سترت بغشاء سميك من الرسائل السلبية، تصنع أفكاراً ومعتقدات واهية تنحفر في قلب الإنسان حتى تصبح سجايا وملكات طبعية له.

والحديث التالي يثبت أن السجايا السلوكية الطبعية تورث عبر الأجيال كطبع اللؤم، الاستهزاء، الحقد والمكر وكل صفات المنافقين:

---

[1]- صفوة التفاسير للصابوني، ص**1183**.

عن أبي سعيد ﷺ قال: ﴿بَعَثُ عَلِّي ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بذَهَبيَّة فَقسَّمهَا إِلَى أَرْبَعَة...وَذَكَّرَهُمْ...فَأَقْبَلَ رَجُلُ غَائرُ الْعَيْنَيْن مُشْرِفَ الْوَجَنَتَيْن نَاتئَ الْجَبين كَثُ اللِّحْيَة مَحْلُوقٌ فَقَالُ: اتَّق اللَّهَ يَامُحَمَّد، فَقَالَﷺ: مَنْ يُطع اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُ ؟ أَيَأَمَّنُنِي اللَّهُ عَلَى أَهْل الْأَرْض وَلَا تُؤَمِّنُونِي فَسَأَلَ رَجُلٌ منَ الْقَوْم قَتَلَهُ – أَحسَبُهُ خَالد بْن الْوَليد – فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: إِنَّ مَنْ ضئْضئ هَذَا، أَوْ في عَقب هَذَا قُوَّمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوزُ حَنَاجرهُمْ، يُمَرِّقُونَ منَ الدِّين مُرُوقَ السَّهْم منَ الرُّمِيَّة، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَام وَيَدَعُونَ أَهْلُ الْأَوْثَان، لَئنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتَلَ عَادَ﴾[1].

بسبب افترائه على رسول الله ﷺ واتهامه بعدم التقوى وخيانته للأمانة والعهد.

أخبرنا رسول الله ﷺ بأن من عقب هذا الرجل الجاهل أو المتجاهل عظيم عناده جازاهم الله من جنس أحوالهم.

سيكون قومه من أهل النفاق يظهرون الإسلام ويقرؤون القرآن دون فهم ومعرفة، بل ويقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان والكفر ويوالوهم.

إنها طباع الحقد والكراهية والخيانة والكذب سيطرت على هذا الرجل والبيئة الاجتماعية سالكة لنفس الطريق المتهالك، بل قد تعم القوم، ومثال ذلك قوم ثمود، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فصلت/**17**، لأن طباعهم متمرسة على الضلال فرفضوا الهداية.

وأقوام يزيد الله في طباعهم العداوة والبغضاء، لكثرة مكرهم وعتوهم، كما ذكر الله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المائدة/**64**.

---

[1]- رواه البخاري برقم /**3344**/.

فصلاح الأبناء من صلاح الآباء، ففي سورة الكهف قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ **الكهف/82**.

«أي حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما، لكونهما صغيرين، عَدَما أباهما، وحفظهما الله أيضاً، بصلاح والدهما»[1].

وعنه ﷺ قال: ﴿وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي﴾[2].

وعنه ﷺ قال: ﴿تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ﴾.

إن البيئة الاجتماعية تؤثر على تربية الأولاد، خاصة إذا كانت من منبت السوء، وعنه ﷺ قال: ﴿إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ فَقِيلَ وَمَا خَضْرَاءُ الدِّمَنِ ؟ قَالَ: الْمَرْأَةُ الْحَسْنَاءِ فِي مَنْبَتِ السُّوءِ﴾ لأن السلوكيات الذميمة للأهل أنبتت تربة غير صالحة لتربية الأولاد، قال تعالى:﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا﴾ **الأعراف/28**.

ومثل ذلك رفاق السوء يؤثرون تأثير مباشر على بعضهم البعض، فيظهرون الطباع السيئة وتنمو فيهم حب المعصية لتهاوي عقولهم اللاهية، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴿27﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴿28﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ **الفرقان/27-29**.

---

[1]- تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص**484**.

[2]- رواه الترمذي وأحمد.

الانتباه لتربية الأولاد، قبل أن تحرفهم الذئاب الضالة، فيؤثر عليهم ويسلبهم براءتهم، فيندمجون في تنظيمات تكفيرية متطرفة بعيدة عن سماحة واعتدال هذا الدين.

وتؤثر البيئة الجغرافية على ظهور بعض الطباع كطبع الغلظة والجفاء وعنه ﷺ قال: ﴿مِنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَّا ... ﴾[1].

سؤال هام:

كيف بالإمكان استنهاض وتهذيب الطباع؟!.

تعالوا معاً نقرأ.....

[1]- رواه أبو داود برقم /**2859**/ جزء من الحديث.

استنهاض وتهذيب الطباع

المؤمن الرشيد يملك وجدان «ضمير حي» يدفعه دفعاً لعمل الخير ابتغاء مرضات الله تعالى، فيشعر بلذة وسعادة لا توصف عند عمل المعروف والواجب.

- قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ **النحل/97**.

يسعى المؤمن دائماً لتهذيب طباعه، لكن هنالك من يملك طباع وسلوكيات يتمنى أن يحسنها، فيقال لأحدهم إنه مزاجي الطبع، قاسي الطبع، متمرد الطبع، وصولي الطبع، لئيم الطبع، ماكر الطبع، خبيث الطبع، متسلط الطبع، متردد الطبع، انتهازي الطبع، جبان الطبع.

قال الجنيد: ((الإنسان لا يعاب في طبعه، إنما يعاب إذا فعل ما في طبعه)).

قد يقول قائل أنا عصبي المزاج، سريع الغضب، قراراتي سريعة ومتهورة، والآخر أنا أعشق المال وأحب أن أتملكه ولو بالحرام، الأخر يقول بطبعي الأنا عظيمة عندي أحب التعالي على الآخرين... وهكذا طباع شتى بنفوس شتى.

هذه الطباع الشفعية المتعاكسة المتناقضة، أي أحدهما يتجه للخير والآخر يتجه للشر في قلب الإنسان ما هي إلا فتنة من الله تعالى، وابتلاء لبني البشر، أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ **الأنبياء/35**.

الله عز وجل أوجد عباده في الدنيا وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالخير والشر، بالغنى والفقر، والعز والذل، والحياة والموت، فتنة منه تعالى ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ومن يفتن عند مواقع الفتن ومن ينجو[1].

---

[1]- تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص**525**.

فلو خلق اللّه الخلق كلهم بطباع الفضيلة والأخلاق الحميدة فقط فلا يفتنون ويبطل الامتحان.

ولهذا كان الإنسان أمام امتحان وابتلاء بالخير والشر والشجاعة والجبن، الحلم والغضب والقسوة والضعف، إنها طباع شتى في نفوس شتى.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴿118﴾ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ[1]﴾ هود/**118-119**.

مهما كان الطبع الذي يملكه الإنسان كصفة ظاهرة للعيان، مثل سريع الغضب عليه أن يظهر الطبع المعاكس لهذا الطبع الغضبي الذي أوجده اللّه فيه، لكن يعاب الإنسان إذا فعل ما في طبعه من ذميم الأخلاق.

وعنه ﷺ قال: ﴿شَرُّ مَا فِي الْإِنْسَانِ جِبْنٌ هَالِعٌ وَشُحٌّ خَالِعٌ﴾[2].

أسئلة محيرة؟!

- ✓ ما هي عوامل استنهاض وتهذيب الطباع الخُلُقية؟!.
- ✓ هل للعبادة أثر في تحسين الطباع؟!.
- ✓ هل يؤثر سماع القرآن... تلاوة القرآن... علينا وكيف ؟!.

---

[1] - ولذلك خلقهم: أي اقتضت حكمته أنه حلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء/تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص389.

[2] - رواه أبو داود .

الفرع الثاني

الإثبات الحادي عشر

عوامل استنهاض وتهذيب الطباع الخُلُقية[1]

عامل التغيير: قرار التغيير بيدك، بالعزيمة والإرادة العقلية التي هي المحرك الأساسي للإنسان ومنبع الطاقة والقوة.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد/**11**.

بناء فكرة أن تحسن أخلاقك، أن تتعلم، أن تصبر، أن تكون هادئاً لا بد من قرار داخلي بعزيمة ثابتة.

قضية التغيير تعتمد أولاً وأخيراً على توفيق ومشيئة الله عز وجل، فالخلق خلقه والأمر أمره، فلا يؤخر أمراً إلا لخير ولا يقدم أمراً إلا لخير، ولا يحرمك من شيء إلا لخير، فالخيرة فما اختاره الله لنا، ولا يملك أي إنسان النفع والضر لذاته إلا بمشيئة الله.

- قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ يونس/**49**.

لا ملجأ إلا إليه ولا غوث إلا به، ولا يرفع البلاء إلا بالتسليم المطلق بقضاء الله خيره وشره، وهنا نفهم حكمة الابتلاء.

---

[1] - د. ماهر جميل بايزيد، لنبن منظومتنا الأخلاقية، ص**202-208** بالتصرف.

- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ **آل عمران/142**.

نحن بحاجة ماسة إلى مقاومة الإغراءات للحد من الطباع الشهوانية والذميمة والانفعالات، ويعتمد هذا على الصبر وضبط النفس.

يقول ﷺ: ﴿كُلُّ النَّاسِ يَغْدُوَا فَبَائِعٌ لِنَفْسُهُ فَمُعْتَقَهَا أَوْ مَوْبِقُهَا﴾ [1].

- إن نجاح هذا التغيير يعتمد على نوعية الهدف والغاية المراد تحقيقها فإن كان لتزكية النفس بمجاهدتها وتحسين طباعها للوصول إلى رضا الله بالعمل الصالح فإن هذه النية يقبلها الله تعالى فيلهم صاحبها للوصول إلى أهدافه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ **آل عمران/159**.

عامل الكبح والمنع:

البداية كبح الطباع الذميمة والزهد في إظهارها بل والميل الشديد باتجاه إحياء الطبع المعاكس الحسن، كالصبر والحلم لتخفف حدة الانفعالات الغضبية.

إن تكرار المنع يؤدي إلى ظهور الطبع المعاكس بإظهار صور ذهنية جديدة تتحول إلى فكرة جديدة محببة لصاحبها لترتقي بسلوكه، وبحاجة إلى إرادة عقلية تسعى لتطبيقها.

عامل القدوة الحسنة:

- قال تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ **الأنعام/90**.
- وأعظم قدوة لنا رسولنا الكريم محمد ﷺ الذي قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **القلم/4**.

---

[1]- صحيح مسلم، رقم /**2682**/.

فذكره والصلاة عليه وإطاعته بتطبيق سنته بأقواله وأفعاله، والتحبب في أخلاقه وتقليدها، وكذلك تأثير الصحبة الحسنة على صاحب التغيير.

وعنه ﷺ قال: ﴿وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي﴾[1].

عامل التعود والتكرار:

لتغير الميل إلى طبع ما لإظهار الطبع المستور لا يأتي إلا بالمزاولة والتكرار، فالماء يفسد ويتأسن ما لم يجر ويتحرك، قال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِي يُغْنِهُ اللَّه، وَمَن يَصْبِر، يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِي أحَدَ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾[2].

وعنه ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمَ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِلْمِ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطَه وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوَقَّه﴾[3].

والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار، فتكون ملكة أي صفة راسخة[4].

عامل المصابرة والاعتدال العقلي:

لضبط طباع النفس بالصبر: وهو الإمساك في ضيق وحبس النفس وطباعها على ما يقتضيه العقل والشرع، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سُميت صبراً ويضاده الجزع وإن

1- رواه الترمذي.

2- رواه البخاري برقم /**1469**/.

3- رواه أبو الحسن علي بن عمر ويلقب بـ **الدارقطني**: سنن الدارقطني.

4- عبد الرحمن بن محمد **ابن خلدون**: المقدمة، ص**554**.

كان في محاربة فسمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبه مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده طبع الضجر.

وكلها طباع سلوكية، فالصبر فعل اختياري للإرادة العقلية الإنسانية التي يتحكم بها المؤمن التقي ويحتسب الأجر على الله بنيته الصادقة لوقف وحجر داعي الهوى والانفعال والتهور المذموم فيدفعه دفعاً للابتعاد عنه مثلاً:

- الصبر عن إجابة طبع شهوة الجنس، يستنهض طبع العفة.
- الصبر عن إجابة طبع الغضب، يستنهض طبع الحلم.
- الصبر عن إجابة طبع الانتقام والتشفي، يستنهض طبع الصفح والعفو.
- الصبر عن إجابة طبع الحقد والضغينة، يستنهض طبع التسامح.
- الصبر عن إجابة طبع المجاهرة بالمعاصي، يستنهض طبع الاستحياء.

فتتحول النقمة إلى نعمة، وبالصبر يثبت باعث الخير في قلب المؤمن ممزوجاً بالسكينة فيخمد داعي الشيطان، لأن أصل كلمة الصبر هو المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن طبع الجزع، واللسان عن طبع التشكي، أليس الصبر هو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله.

قال رسوله الله ﷺ: ﴿عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَهُ سُوءٌ شُكْرٍ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبْرٌ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ﴾ [1].

المؤمن العاقل أوعى وأدرك بأن عليه الاستعانة بطوق النجاة «الصبر» عندها ينال المؤمن كل فضيلة وبالصلاة ينتهي من كل رذيلة.

---

[1]- رواه مسلم.

إذاً بالمزاولة والتكرار تظهر الطباع التي كانت مستورة فتصبح ظاهرة بإذن الله، وهذا هو عين مجاهدة النفس، فتنقلب من حالة نقمة إلى النعمة بإذنه تعالى ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الروم/**50**.

هذه الطباع السلوكية المجبولة في قلب الإنسان التي ممكن أن نستنهضها، هي ميالة لفعل الخير، فإن الله يحب هذه الطباع الحسنة، وعنه ﷺ قال: ﴿الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيِّرٌ وَأَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: ﴿مِنْ سَارِّ بَيْنَ النَّاسِ جَابِرًا لِلْخَوَاطِرِ أَدْرَكَهُ اللهُ فِي جَوْفِ الْمَخَاطِرِ﴾[1].

واستحياء المؤمن من الإيمان، عنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءَ﴾[2]، الحياء مشتق من الحياة، فإن القلب الحي يكون صاحبه فيه حياً، فيه حياء يمنعه من عمل القبائح، قال ﷺ: ﴿الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ﴾[3].

والذي يكظم غيظه ولو كان على حق، بل ويحول هذه الحالة الطبعية من الغيظ إلى العفو والصفح فله الجزاء، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران/**134**.

هذه المحاكمة العقلية والاعتدال العقلي يلعب دوراً في تهدئة الغضب والغيظ بالعفو لأجل المحبوب الذي أمره أن يعفو عن الناس.

حالة أخرى تثبت معنى الاعتدال العقلي لتعديل حدة الطباع، في وصف المؤمنين:

1- رواه الترمذي.

2- رواه مالك.

3- .رواه البخاري برقم /**6117**/.

قال تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ الفتح/**29**، وصفهم بالشدة والشدة تصدر عن الغضب، وهذا الغضب محمود للدفاع عن الحقوق، فيتدخل العقل الرشيد بالحكمة للتوازن بين حالة الشدة مع الكفار والرحمة مع المؤمنين.

وعنه ﷺ قال: ﴿الْغَضَبَ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ، كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ﴾[1]، فالعاقل الرشيد يدرك أن عليه أن يقوم بإجراء سلوكي سريع للتحلي بالسكون والوقار ويصبر لأي موقف يستدعي الانفعال والغضب، هذه هي الطباع التي يسعى إليها المؤمن، فتسمو نفسه وتطيب حياته.

لكن من المؤمنين من تظهر عليه طباع الجبن والضعف والعجز والتردد في اتخاذ القرار قال رسول الله ﷺ: ﴿كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ﴾[2]، وانطبع على هذه الطباع فلن تتغير إلا بالميل لنقيضها والصبر والمزاولة على الشجاعة والقوة وعدم التردد، وهذا يتطلب مشقة وعذاب ومنهم لا يقدرون عليها:

- قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ البقرة/**286**.
- قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ البقرة/**185**.

فلا يجوز الشدة ولا التنطع والتكلف المبالغ فيه، قال رسول الله ﷺ: ﴿عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا﴾.

وعنه ﷺ قال: ﴿أَنَا وَالْأَتْقِيَاءَ مِنْ أُمَتِي بُرَاءٍ مِنَ التَّكَلُّفِ﴾[3].

1- أبو القاسم، سليمان بن أحمد **الطبراني**: المعجم الكبير.

2- أخرجه مسلم برقم /**2655**/.

3- أخرجه الدار قطني.

لهذا كان الرسول ﷺ يحب التوازن والاعتدال العقلي، فليس المطلوب انقلاب الطباع بالكلية، وإنما تحسين واستنهاض الطباع الحسنة وتخفيف حدة الطباع الذميمة.

- قال تعالى:﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ **الأعراف/31.**

وهذا ما يسمى الفضيلة: وهي الوسطية والاعتدال العقلي في السلوكيات الطبعية، لا إفراط ولا تفريط، فالشجاعة فضيلة سلوكية طبعية وسطية بين طبعي التهور والجبن، والكرم فضيلة سلوكية طبعية بين طبعي السرف والبخل.

- قال تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً﴾ **الإسراء/29.**

فالاعتدال هو عين الفضيلة، وخير الأمور أوساطها، وهذا مما يدل على أن الغلو الديني غير مقبول في شريعتنا.

لكن مهلاً... مهلاً تعالوا نفهم وندرك حقائق تدبرية رائعة تجعلنا في غاية السعادة.

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **محمد/24.**

القرآن الكريم يبين لنا كل الحلول.

تعالوا معاً لنرى ما هو أثر العبادة في تحسين الطباع.....

الإثبات الثاني عشر

أثر العبادة في تحسين الطباع

إن خطاب الشرع وجد ليؤكد للناس أن المقصود الأعظم من وضع الشريعة إخراج العبد من داعية هواه ليكون عبداً لله، ولا يكون هذا إلا عبر التسليم والخضوع المطلق لأحكام الله تعالى والاستسلام لله بالمجمل وهنا تكمن عملية الابتلاء للعباد في تطبيق الأحكام.

إن تهذيب الموروثات السلوكية الطبعية بحاجة للعودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله، لأن نور الإيمان يُنقي قلب المؤمن وطباعه من أدران الرذائل مهما صغرت، فيستقيم دينه وتستقيم أخلاقه، لأن الأخلاق الطبعية متلازمة مع الإيمان وتتناسب طرداً مع الخلال الخُلقية للمؤمن ومعيار أخلاقه إيمانه، وبَيَّن رسول الله ﷺ أنه جاء بغاية هامة برسالته قال: ﴿إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ﴾[1].

وأساس الرسالة السماوية هي عبادة الله الواحد الأحد، «العبادة غاية الخضوع، وغاية الحب، وغاية الاستسلام، طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، فيها جانب معرفي وجانب سلوكي، والجانب السلوكي هو الأصل، لا يمكن أن نقطف من الدين شيئاً، إن لم نستقم على أمر الله، فالدين بكلمة واحدة – هو الاستقامة»[2].

والإسلام يقوم على أربعة أصول: الإيمان – الأخلاق – العبادات – المعاملات.

---

[1]- أخرجه أحمد /**8729**/.

[2]- أ.د. محمد راتب النابلسي.

تعالوا نربط بين الجانب المعرفي والسلوكي للعبادة في تهذيبها للطباع السلوكية التي تساعد النفس المسلمة على السمو وتزكيتها، للوصول للنفس المطمئنة.

ورد في الأثر: قال عليه الصلاة والسلام: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ بِحَقِّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ قِيلَ: وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ: أَنْ تحجزه عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ﴾.

الصلاة: قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ **العنكبوت/45**.

والحكمة من إقامة الصلاة الابتعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول والعمل وتزكية النفس، أما الحكمة من قبول الصلاة من المنظور السلوكي هو تهذيب سلوكيات المؤمن بل واستنهاض السلوكيات المحبوبة والمجبولة في قلب المؤمن وإعادة برمجة القلب وقد جاء في حديث رواه النبي ﷺ عن ربه جلَّ جلاله:

﴿إِنَّمَا أَتَقَبَّلَ الصَّلَاةُ مِمَّنْ تَوَاضَعُ بِهَا لِعَظَمَّتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِيٍّ، وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَّعَ النَّهَارِ فِي ذِكْرِيٍّ، وَرَحِمَ الْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةِ، وَرَحِمَ الْمُصَابِ﴾[1].

بهذه الأعمال وتكرارها تتهذب وتتحسن الطباع الخلقية في قلوب المؤمنين حتى ينادى أحدهم بالسجية الظاهرة التي يعرف بها، فالمصلي الذي تعَّود على الصلاة، ينادى بأنه من المصلين، والذي يتصدق دائماً ينادى بأنه من طبعه التصدق والذي يصل رحمه وأهله ينادى بطبعه رحيم وواصل للرحم.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه وكلماته عبرة: ((عشيرتك هم جناحك الذي بهم تحلق، وأهلك الذي به تتعلق، ويدك التي بها توصل، ولسانك الذي به تقول هم

---

[1]- رواه أبو بكر أحمد بن عمرو **البزاز**.

العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعدّ سقيمهم، ويَسّرّ على معسرهم، ولا يكن أهلك أشقى الخَلق بك)).

لكن الإنسان رُكِّب فيه أطباع شتى وشهوات ورغبات كثيرة وزين له منها الكثير، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ للنَّاس حُبُّ الشَّهَوَات منَ النِّسَاء وَالْبَنينَ وَالْقَنَاطير الْمُقَنطَرَة منَ الذَّهَب وَالْفضَّة وَالْخَيْل الْمُسَوَّمَة وَالأَنْعَام وَالْحَرْث ذَلكَ مَتَاعُ الْحَيَاة الدُّنْيَا وَاللّهُ عندَهُ حُسْنُ الْمَآب﴾ **آل عمران/14**.

الله خلق العباد وابتلاهم بالشهوات، منها بحاجة ماسة للإنسان ومنها معارضة لأمره، وأمرهم ونهاهم، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمل له الجزاء في الدارين.

فشهوة النساء تصرف بالزواج، وشهوة الطعام تصرف بالأكل، وشهوة الأولاد تصرف بالإنجاب، وفق المنهج الذي ارتضاه الله لنا، لكن هنالك شهوات ماجنة مدمرة إن اتُبعت تدمر الإنسان.

ونذكر بعض ما ركب للإنسان عموماً كطبع العجلة والهلع والجزع والخوف وحبه للمال.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴿19﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً﴿20﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ **المعارج/19-21**.

«خلق عجولاً، يبادر الأشياء، ويستعجل وقوعها»[1].

لكن هذه الطباع تصبح مستورة غير ظاهرة نهائياً، معدومة الفعالية عند المصلين المداومين على الصلاة فكان الاستثناء:

- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ **المعارج/22**.

---

[1]- تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص**526**.

الزكاة: مطهرة للنفس وبها تنال الرضا من الله، والمحبة من الفقير، وصلة للرحم، وتبعد الشحناء والبغضاء والحسد عن صاحبها.

فتنظيف طباع النفس من أدران المذمومات بالصدقة، لأن الصدقة تطهر وتزكي نفس المتصدق.

- قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ **التوبة/103**.

والصدقة لا تكون بالأموال فقط، فقد تكون عفواً يعفو به المسلم عن أخيه المسلم كما في القصاص.

- ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾ **المائدة/45**.

والكلمة الطيبة صدقة، ودلالة الصدقة عظيمة جداً، قال رسول الله ﷺ: ﴿تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ فِي أَرْضِ الضُّلَّالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْأَذَى وَالشَّوْكَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرَ لَكَ صَدَقَةٌ﴾[1].

﴿وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ قَالَ: أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ﴾[2].

هذا المؤمن الذي ما برح يحسّن أخلاقه ويتعود عمل الخير والسعي إلى نفع الناس بعمله حتى أصبح أحب الناس إلى الله عز وجل، فعلينا أن ندعوا الله أن يحسّن من أخلاقنا لأن كل إنسان يُذكر بأفعاله وأخلاقه والأثر الذي تركه.

عن أم الدرداء قالت: ((قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنت خَلْقي فحسن خُلقي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ

---

[1]- رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم /**888**/.

[2]- رواه الطبراني.

الليلة إلا في حسن الخلق؟ فقال: يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن خلقه الجنة، ويسيء خلقه، حتى يدخله سوء خلقه النار))[1].

○ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمد/17.

وإثبات أن النفس المؤمنة تقترب أكثر وأكثر لما يحب الله ويرضى فتنوسم هذه الصفات الخيرة بنور الإيمان والقرآن وبإشراقة العقل، فيتعود المؤمن على فعل الخير، وهذا ما يؤكد تأثير المنهج الرباني على توجيه الإنسان ودفعه باتجاه الطريق المستقيم فيألف الطاعة ويحبها ويتعود عليها.

وفي الحديث النبوي الشريف: ﴿الخيرُ عادةٌ والشَّرُّ لَجاجةٌ﴾[2]، وإذا اعتادت النفس فعلاً ما من أفعال الخير حصل له نور في قلبه، ويشرح به صدره، فلا يأتي فعل ثان إلا وفي النفس له القبول، ولذلك قيل أن العادة طبعية ثانية.

هذا في عادة الله في أهل الطاعة، وعادة أخرى جارية في الناس، أن النفس أقرب انقياداً إلى فعل يكون عندها فعل آخر من نوعه، ومن هنا كان ﷺ يكره أضداد هذا ويحب ما يلائمه، فكان يحب الرفق ويكره العنف، وينهى عن التعمق والتكلف.

هذا القلب هو محل نظر الله عز وجل لأنه وعاء لكل المعتقدات والأحاسيس والصفات السلوكية المجبولة في جبلة الإنسان، فجعله قلباً سليماً أبيضاً نقياً لكي تصل إلى الله عز وجل غانماً وسعيداً، فالذي أشرب هواه دواعي الشر والخبث أسودَّ قلبه ومن أنكر هذه الدواعي وابتعد عن المعصية وسوء الخلق كان قلبه أبيض سليماً.

---

[1]- أخرجه أبو داود رقم/**3855**/.

[2]- أبو عبد الله محمد بن يزيد **ابن ماجة** الربعي القزويني: سنن ابن ماجه.

وعنه ﷺ قال: ﴿أَلَا وَإِنَّ للّٰه أَوَاني فِي أَرْضِه وَهِي الْقَلُوبُ فَأَحَبَّ الْأَوَانِيُ إِلَى اللّٰه تَعَالَى أَصفَّاهَا وَأَصْلَبُهَا وَأَرْقَهَا﴾[1].

أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على المسلمين.

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول: ﴿تُعْرَضُ الْفتَنُ عَلَى الْقُلُوب كَالْحَصِيرِ عوداً عوداً، فَأَيُ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكتَتْ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصيرَ عَلَى قَلْبَيْن: عَلَى أَبْيَضَ مثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْض، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مربادا كَالْكُوزِ مجخياً لَا يُعْرَفُ معروفاً وَلَا يُنْكِرُ منكراً إلَّا مَا أُشْرِبَ منْ هَوَاهُ﴾[2].

بهذا البحث يتأكد لنا أن القلب أمير البدن والطباع وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، لهذا جعل قلب النبي ﷺ أبيض القلوب وأنقاها وجبل بأحسن الأخلاق وهذا ما أكده اللّٰه عزّ وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **القلم/4**، فكانت هذه الآية شهادة من اللّٰه عز وجل لرسوله الكريم ﷺ.

فعلينا أن نحسّن أخلاقنا بإرادة التعويد كما قال رسول اللّٰه ﷺ:﴿حسنّوا أخلاقكم﴾، بأن يكون صوت اللّٰه في قلب المسلم يصدح ويرشده لعمل الواجب وفعل الخير، ويمنعه من عمل المنكر، عندها يشعر بالسعادة وراحة البال، ويتأدب ويتخلق بأخلاق رسول اللّٰه الذي أدبه اللّٰه عز وجل فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه، ومع هذا فكان رسول اللّٰه ﷺ كثير الضراعة والابتهال، دائم السؤال من اللّٰه تعالى أن يزينه بمكارم الأخلاق: ﴿اللهم حسَّن خَلقي وخُلقي﴾[3].

---

[1]- أخرجه الطبراني.

[2]- أخرجه مسلم برقم/**144**/.

[3]- أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود برقم /**3813**/.

الإثبات الثالث عشر

تهذيب طباع المؤمن بسماع القرآن الكريم

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ **الأعراف/204**.

إن الاستماع والانصات للقرآن هو التفات القلب الحي والتركيز العقلي إلى معاني المسموع وبيان غاية مقصوده تدبراً ونظراً وفهماً لتنزيله على أرض الواقع لتنفيذ أحكام الله عزَّ وجلّ.

ماذا يحدث علمياً؟! أزرار برمجة القلب هي الكلمات القرآنية المسموعة والمقروءة.

يبدأ القلب بالاسترخاء وتهدأ الانفعالات الجسمية وتظهر سكون النفس لانخفاض الأدرينالين في الجسم والقلب فتنخفض نبضات القلب، إن الكلمات القرآنية تحمل طاقة نورانية ذات تأثير هائل، تصل الكلمات القرآنية إلى القلب فتعمل على إعادة برمجة DNA الحمض النووي المنقوص الأوكسجيني للمورثات السلوكية، لأن الترددات الاهتزازية لكلمات القرآن توافق لغة تركيب المورثات الطَبعية فتوسم بنور السكينة والطمأنينة من الله عز وجل، بعملية الإنصات والاستماع لكلمات القرآن تكون السكينة سكنت في قلب السامع والمنصت لكلماته ونزلت الرحمة من الله.

في المبدأ العلمي أثبت أن مادة الدوبامين – ناقل عصبي كيميائي يفرز من الخلايا العصبية ويسمى هرمون السعادة – الذي يؤثر مباشرة على الحالة النفسية للإنسان وتزداد كميته عند سماع وتلاوة القرآن الكريم فيشعر بحالة مستقرة مطمئنة ويشعر بالسعادة «انشراح الصدر» فتزداد سكينته وطمأنينته، بل ويزداد نشاط هرمون آخر اسمه السيروتونين المضاد للاكتئاب، فتزداد كميته لتسبب في خفض التوتر والاكتئاب والقلق والضغط النفسي، وقديماً قالوا: ((إن المحب لمن

يحب مطيع)) فالحب لله والخوف منه يولدان في النفس شعوراً مشتركاً بالخضوع لله والطاعة لأمره فتهدأ النفس البشرية.

- قال تعالى:﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/**28**.

فذكر الله وسماع القرآن وتلاوته يهذب المورثات السلوكية الموجودة في القلب ويتم تنقية القلب من الشوائب، الآثام والمعاصي التي سودت صفحة القلب، فلا بد من زيادة نور الإيمان بالذكر وقراءة القرآن والتوبة ليروي القلب ويغسل درنه ويرجع نقياً صافياً وتنقى معه الطباع السلوكية.

والمؤمن يتدبر عاقبة الأفعال والأقوال، ففي الخبر أن عليه الصلاة والسلام جاءه رجل فقال: ﴿يَا رَسُولَ اللَّه أَوْصِنِي فَقَالَ: أمستوصي أَنْت ؟ فَقَال: نَعَم، قَال: إذَا هَمَمْت بِأَمْرٍ فَتَدَبَّر عَاقِبَتُه فَإِنْ كَانَ رشداً فَأَمْضِه وَإِنْ كَانَ غياً فَانْتَه عَنْه﴾.

وهكذا تظهر وتتحسن أخلاق المؤمن وطباعه حتى يصبح القلب مخموماً نقياً تقياً، قيل لرسول الله ﷺ: ﴿أَيُّ النَّاس أَفْضَلَ قَال كُلُّ مَخْمُومُ الْقَلْبَ صَدُوقُ اللِّسَان قَالُوا صَدُوقَ اللِّسَان نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبَ قَالُ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمٌ فِيهِ وَلَا بَغِيٌ وَلَا غُلٌ وَلَا حَسَدٌ﴾ [1].

إن المؤمن العاقل يحمل طاقة إيجابية في إرادته لأن كل طباعه ترشده لذلك فطبع الرفق والاستحياء وعمل الخير وصنع المعروف والتآلف ظاهرة دافعة لحب الخير، لأنه علم ما يحل له ويحرم عليه، عن أبي ثعلبة ﷺ قال: ﴿يا رسول الله أخبرني ما يحل وما يحرم علي؟ قال رسول الله ﷺ: الْبَرٌ مَا سَكَنْت إلَيْه النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إلَيْه الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاك الْمَفْتُون﴾ [2].

---

[1]- رواه ابن ماجه في سننه برقم /**3416**/.

[2]- رواه أحمد في مسنده.

وعنه ﷺ قال: ﴿مَنْ يَحْرُمُ الرِّفْقَ يُحرم الْخَيْر﴾[1]، وعنه عليه الصلاة والسلام: ﴿صنائعُ المعروف تَقي مصارعَ السّوء﴾[2].

وعنه ﷺ: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِه وَيَدِه، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللّهُ عَنْهُ﴾[3].

هكذا تتشرب القلوب محبة الله ورسوله لأنها حقيقة العبودية وبهذا تنمو الطباع الدالة على الخير في قلوب المؤمنين الأتقياء الأنقياء.

- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ **آل عمران/ 31**.

عندها تسمو قلوبهم السليمة من الطباع المذمومة وتستنار قلوبهم بالطباع المحبوبة لله ولرسوله وإيثار مرضاته، والبعد عن سخطه، فإن أحب أحب لله وإن أبغضَ أبغضَ في الله.

أسئلة محيرة:

- ✓ تهافت الطباع الخلقية! هل ينهي الإيمان؟!.
- ✓ إذا كانت الخلال الخلقية تتناسب طرداً مع الإيمان هل يزني المؤمن؟ هل يسرق المؤمن؟.
- ✓ هل من الممكن أن يفلس المؤمن؟.
- ✓ هل من الممكن أن يصبح المؤمن كذاباً أو خائناً؟.
- ✓ كيف يطبع ويختم على قلب الكافر وعلى طباعه؟.

تعالوا معاً نتابع.....

1- رواه مسلم برقم /**2592**/.

2- رواه الطبراني.

3- رواه البخاري برقم /**10**/.

تهافت الطباع الخلقية نهاية الإيمان

الفرع الأول

الإثبات الرابع عشر

تهافت الطباع الخلقية

إن المعركة بين الحق والباطل ليست جولة واحدة، إنها صراع طويل:

- يقول تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ **الأنفال/42**، اختلال التوازن الأخلاقي بين البشر يُحدث الفساد وتفسد الحياة.

إنها لعبة الحياة، فالجاهل من أوغل في استرخاء ضابطه العقلي بقبوله ما تهوى نفسه وتشتهي ما يضرها ولا ينفعها فتسول لصاحبها القيام بذلك، وكلما كان طبع الإنسان ميالاً لهوى النفس كلما ابتعد عن التكاليف الشرعية، فالإفراط في الهوى مذموماً عقلاً ونقلاً، لأنه يهوى بصاحبه إلى النار، بل ويصبح معبوده فيضله عن الصراط المستقيم.

- قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴿37﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿38﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات/37-39، فهو في ظلمة في دنياه وفي آخرته.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص/26.

أما العاقل فهو من يضبط كل تصرفاته وسلوكه وأقواله وأفعاله وفق منهج رباني، فيقمع طبعه الميال لشهوة تحرفه عن الفطرة، لكي ينجح ويصل للدار الآخرة بأمان وسلام.

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ النازعات/40-41.

قد تنقلب النفس إلى حالة النفس الأمارة بالسوء في لحظة الغفلة وحب الدنيا، لتجعل الشيطان قرينها وصاحبها فيمَنيها ويغويها فتقوى لمة الشيطان ويميل الإنسان لعمل الشر نتيجة اضطراب وتذبذب ركائزه الإيمانية فتضعف إرادته وعزيمته لتطغى المستورة من الطباع المذمومة.

قد تكون عند المسلم طباع مستورة لا يظهرها كحب النساء وحب الظهور والاستعلاء وحب المخاصمة وحب الكبر وحب الافتخار.

تستتر هذه الطباع المغروزة في قلوبنا بقوة نور الإيمان وبالضبط العقلي للإرادة الإنسانية، لكن هذه الطباع المذمومة تظهر للعلن بلحظة ضعف نور الإيمان فيضعف الخوف والوجل من الله عز وجل، عندها دواعي الشيطان الرجيم ودواعي الهوى وبواعث الشر تسيطر على الإرادة العقلية فتزوغ القلوب.

- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف/5.

إنها لحظة من الزمن فيها لذة محرمة وشهوة تورث ندماً وحزناً طويلاً.

إنها طباع شتى في نفوس شتى، في لحظة الغفلة تنقلب القلوب، وعنه ﷺ قال: ﴿الْقَلْبُ فِي تَقَلُّبِهِ كَالْقِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا﴾[1].

أخطر ما في الموضوع هم رفاق السوء لأنهم شياطين الإنس وهم أخطر من شياطين الجن، اجتمعوا على عشق الهوى والشهوات والغفلة، عقولهم لاهية واهية يتعلمون من بعضهم البعض حب المعصية لينزلق الأول ويتبعه الآخر، فالصاحب ساحب، قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾[2].

قال ابن عباس: ((ينزع منه الإيمان في الزنا))، وقد روي مرفوعاً أخرجه أبو جعفر الطبري عن طريق مجاهد عن ابن عباس سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿مَنْ زَنَى نَزَعَ اللَّهُ نُورُ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهِ رَدَّهُ﴾[3].

لحظة انقلاب الهوى على العقل وتسلمه زمام النفس تظهر شهوة ماجنة فالحذر مقرون بالنجاة، والتعرض للشهوات والفتن مقرون بالعطب، فالمؤمن إلى ريبة وحذر وزجر ضابطه العقلي، فذو العقل يرى ما وراء الستر، لأنه دائماً يعقل تصرفاته، وهو في محاكمة عقلية لأخطائه وعثراته وتصفية أفكاره لتهذيب نفسه وإعادة توازنه والابتعاد عن الخطاب الديني المتشدد وعن الغلاة المتشدقون.

---

[1]- أخرجه أحمد.

[2]- رواه البخاري.

[3]- الفتح الباري في صحيح البخاري، ج**3**، ص**536** برقم /6772/.

قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَكُنْ أحَدُكُمْ إمَّعَةً، يَقُولُ أَنَا مَعَ النَّاسِ إنَّ أَحْسَنَ النَّاسُ، أَحْسَنَتْ، وَإِنَّ أَسَاؤُوا، أَسَأْتُ، وَلَكِنَّ وَطِّنُوا أَنْفُسُكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسُ، أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنَّ أساؤوا، أَنْ تَجْتَنِبُوا﴾[1].

فالقوي من يردع النفس عن مقارفة هذه الأنجاس والوقوع فيها قال ﷺ: ﴿لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسِ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ﴾ [2].

فالهجر الهجر من المحرمات والابتعاد عنها، عن جابر قال: ﴿يا رَسُولُ اللَّه، أَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ ؟ قَال: أَنْ تَهْجُرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْك﴾[3]، والأصل في الأشياء الإباحة، وكل ما ورد تحريمه في كتاب الله فهو محرم.

○ قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ **النحل/119**.

إن الغفلة وطول الأمل مؤثرات تضعف الوجل والخوف من الله، فتظهر الطباع الذميمة الخبيثة في النفس، ومنهم من لم يستطيع أن يفهم ويدرك نعم الله عليه إلا أن يحرم منها عندها يتذوق حرمانها، إذ لا يظهر فضل الشيء إلا إذا قُرن بضده.

فنعمة اللسان أن تذكر الله وأن تأمر بالمعروف لا أن يكون هذا اللسان سليط على خلق الله يلعن هذا ويقدح هذا، وعنه ﷺ أنه قال: ﴿ لَا يَسْتَقِيمُ إيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمُ لِسَانُهُ﴾[4]، وقد تظهر طباع عند بعض الناس كالمراء والجدال والتخاصم، وطبع الرياء في العمل هو الشرك الخفي، يظهرون الطيبة ويضمرون السوء، منهم من ينتزعون خيرات الدنيا باسم الدين،

---

[1]–رواه الترمذي.

[2]– رواه البخاري برقم /**6114**/، ومسلم برقم /**2609**/.

[3]– رواه أبو داود برقم /**1449**/، جزء من الحديث.

[4] – رواه أحمد .

ويتظاهرون بخدمة الدين، قال ﷺ: ﴿يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَغْتَرُّونَ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا﴾[1].

طبع الجدال قال عنه ﷺ: ﴿مَنْ جَادَلَ فِي خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يُنَزِّعَ﴾[2].

والجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه وأساس الجدال هو الكبر والعتو والكفر.

- قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ **غافر/5**.

إن التذبذب الإيماني والتمني قرينان، قال الحسن البصري: ((ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، إن قوماً ألهتهم الأماني، حتى أخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله، وكذبوا، ولو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل)).

إن اللامبالاة وعدم الضبط العقلي وعدم التحكم والسيطرة على الجوارح وخاصة اللسان، يوقع الإنسان بالإفلاس في كل أعماله وأقواله لأنه يحمل قلباً سقيماً، أي به علل بحب الشهوات والهوى.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ﴿أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِس؟ قَالُوا: مَنْ لَا دُرْهَمْ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ

---

[1] – رواه الترمزي.

[2] – أخرجه أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بـ **ابن أبي الدنيا**.

هَذَا وَقَذْفُ هَذَا وَأَكْلُ مَالِ هَذَا وَسَفْكُ دَمِ هَذَا وَضَرْبُ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه فَإِنَّ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ﴾[1].

فهذه التناقضات الانحرافية تجر المسلم إلى الإثم والعصيان وتهوى به إلى النار، لذا المحاكمة العقلية اليومية ضرورة ملحة للوم على أي تصرف طائش والاستغفار والتوبة قبل فوات الأوان.

عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الْبِرُّ لَا يَبْلَى وَالْإِثْمُ لَا يَنْسى، وَالدَّيَّانُ لَا يَنَامُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ﴾.

إن أخطر الطباع التي تظهر عند بعض الناس طبع النفاق، طبع متحجر لا يمكن تغييره فصاحبه يملك أفكار ومفاهيم مغلوطة سلبية وتأثير البيئة وخاصة الأهل يساعد على إنماء هذه الطباع المترسخة فيه، بل وتزداد تصلباً وتحجراً وينادى بها، فكثير من الناس من يملك وجهين ولسانين.

والنفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر لأن قوله يخالف فعله وسره يخالف علانيته، وأهم طباعهم الكذب.

- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ **المنافقون/1**.

هو مرض في القلوب لتعودهم عليه.

- قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ **آل عمران/16**.

---

[1]- رواه مسلم /**2581**/.

قال رسول الله ﷺ: ﴿أَرْبَعٌ خِلَالَ مَنْ كُنْ فيه كَانَ مُنَافقًا خَالصًا: منْ إذَا حَدَّثَ كَذبَ، وَإذَا وَعدَ أَخْلَفَ، وَإذَا عَاهدُ غَدْرٍ، وَإذَا خَاصَمَ فَجَرٌ، وَمَنْ كَانَتْ فيه خُصْلَةً منْهُنَّ كَانَتْ فيه خَصلَهُ منَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُهَا﴾ [1].

وعن النبي ﷺ قال: ﴿مَثَلِ الْمُنَافِقِ كَمثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تُعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً﴾ [2].

العائرة: المترددة الحائرة التي لا تدري لأيهما تتبع، هنا الطبع والتطبع متناغمان متفقان.

تعالوا نتكلم عن بعض الطباع المذمومة كطبع البخل وطبع الكذب وطبع الخيانة.

طبع البخل:

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ﴿خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِّ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ﴾ [3].

البخل: هو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابلها الجود[4].

والبخيل الذي يكثر فيه البخل، وهذا الطبع من أخس الطباع المطبوعة في الإنسان المسلم والكافر، وهو طبع سلبي يحض على الإمساك بالمال والمشورة والمساعدة والنصيحة والحب، وطبع البخل لا يحبه الله تعالى ولا رسوله الكريم ولا المؤمنين، والبخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره وهو أكثرها ذماً، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ **النساء/37**.

---

[1]- رواه البخاري برقم /**3178**/.

[2]- رواه مسلم برقم /**2784**/.

[3]- رواه البخاري في الأدب المفرد برقم /**282**/، والترمذي في سننه برقم /**1962**/.

[4]- الأصفهاني: المفردات في غريب في القرآن، ص**48**.

وقيل للبخيل بخس، وهو الذي ينقص من حق الآخر على سبيل الظلم ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾ هود/85.

وقيل للبخيل مغلول اليد، ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ الإسراء/29.

وقيل للبخيل شحيح لأن الشح بخل مع حرص وهذا طبع من الصعب تغييره لطول مزاولة هذه العادة الذميمة الطبعية.

ويكون عقله مبرمج على الشح وعدم العطاء، لأنه يحمل صور ذهنية مزيفة بأنه بالبخل والشح يشعر بالسعادة والأمان فتتشكل لديه فكرة، أن هذا المال والجاه قد جمعه من تعبه وأنه لن يفرط به لأحد.

- قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ النساء/128.

والبخيل شحيح لفعل الخير ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ الأحزاب/19، والشح لا يجتمع مع الإيمان.

قال رسول الله ﷺ: ﴿... وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أبداً﴾[1].

وقيل للبخيل ممسك، وكنّيَ عن البخل بالإمساك.

والشخص الذي يملك طبع الشح يملك طباع أخرى ظاهرة للعيان، فهو بطبعه أناني لا يحب إلا ماله ولنفسه، بل لو كان ذو خبرة في أي مجال لا يقدم نصيحة ولا مشورة، قناص للأخذ، شحيح العطاء، خسيس النفس، أناني الهوى، وكلما اقتنص شيئاً شعر بسعادة لا توصف، شهواته وهواه وشيطانه يحثونه على الإمساك وعدم الإنفاق، ليس بالمال بل حتى بالكلمة الطيبة.

لأنه يملك مشقة العطاء ومشقة عمل المعروف لشح طباع الخير فيه وهكذا بنى مفاهيمه وأفكاره وإرادته الشحيحة على عدم العطاء والبذل، وبخس الناس

---

[1]- رواه البخاري في الأدب المفرد برقم /281/، والترمذي في سننه برقم /1633/.

أشياءهم، فختم وطبع على قلبه بخيل شحيح، يقول الإمام عليٌّ كرَّم الله وجهه: ((البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء))[1].

سبحان الله الذي أحب المتصدقين والمحسنين وكره البخل والإمساك.

تعالوا نتعرف على بعض الطباع الذميمة والتي لا يمكن أن ينطبع عليها المؤمن:

طبع الكذب:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ **غافر/28**.

الكذب: إخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه.

طبع الكذب: صفة ذميمة طبعية يعشقها الإنسان الغير المؤمن، وهو آفة جامعة لكل الآفات، يزداد هذا الطبع حدة ليسري في عروق صاحبه لإرادته وميله ومزاولته له، فينطبع القلب برداء الكذب والخيانة والنفاق.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الصِّدْقَ يُهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يُهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَدِّقُ، حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يُهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يُهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ، حَتَّى يَكْتُبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا﴾[2].

«الفجور: شق ستر الديانة»، يقال فجر فجوراً فهو فاجر، وجمعة فجار وفجرة:

- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ **عبس/42**.
- وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ **القيامة/5**.

---

[1] – نهج البلاغة للإمام عليٌّ كرم الله وجهه، شرح الشيخ محمد عبده، ص**494**.

[2] – رواه البخاري برقم /**6094**/.

أي يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها، وقيل معناها ليذنب فيها، وقيل معناه يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به، وسمي الكاذب فاجراً لكون الكذب بعض الفجور[1].

يكذب ويكذب حتى يسمى كذاباً أشر يقلب الحق باطلاً والباطل حقاً، قال رسول الله ﷺ: ﴿وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُ يُهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَهُمَا فِي النَّارِ﴾[2].

وأخطر ما في طبع الكذاب أنه بعيد عن الدين، يستخدم الكذاب سلاح الكذب ليتفنن في البهتان على الآخرين، وينشر الإشاعات وقول الزور، عن أبي بكر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿أَلَا أُخَبِّرُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلَ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ﴾[3].

فالكذب يهدي إلى الفجور وإثمه مبين.

- قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً﴾ **النساء/50**.

الكذاب يحمل الشر والإفساد في قلبه لأنه انفصل عن الدين بالمجمل فتفسد طباعه كلها كما يفسد الخل العسل.

الكذب من علامات مرض القلوب.

- قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ **البقرة/10**.

---

[1]- الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص**375**.

[2]- أخرجه ابن ماجه وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب **النسائي**.

[3]- رواه البخاري برقم /**6273**/،

الكذب من علامات النفاق.

- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ المنافقون/1.

والكاذب يحرم من الهداية.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر/3.

لهذه الأسباب فإن الكذب والخيانة ليست من صفات المؤمن إطلاقاً وليست من الطباع التي فطر عليها المؤمن، قد يدخل في قلبه كذب عارض لكن ليست من سماته وسمات أخلاقه لأن الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، والكذاب الأشر من تطبع على الكذب وأصبح في عروقه ونودي في الناس أنه كذاباً.

- قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ محمد/16.

طبع الخيانة ونقص الأمانة:

الخيانة والنفاق واحد إلا أن الخيانة تقال اعتباراً بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتباراً بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السِّر ونقيض الخيانة: الأمانة، يقال خنت فلاناً وخنت أمانة فلان وعلى ذلك قوله تعالى:

- ﴿لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ﴾ الأنفال/27.
- ﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة/127.

والاختيان مراودة الخيانة ولم يقل تخونون أنفسكم، لأنه لم تكن منهم الخيانة بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة[1].

---

[1]- الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص167.

- قال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً﴾ **النساء/107**.

الدافع الأساسي للخيانة شهوة تتحرك في داخل صدر الإنسان تحثه على الخيانة، تظهر كصور ذهنية تراوده ثم تتشكل فكرة الخيانة، فتظهر الطباع الذميمة بهذه الشهوة ولذة لعملها، لضعف الرقيب والواعظ العقلي لسيطرة الشهوة والهوى على العقل، عندها تتحرك الإرادة السلبية لفعل الخيانة.

وطبع الخيانة والكذب ليست من طباع المؤمن التي فطر عليها، قد تحدثه نفسه بالاختيان، ولكنه ليس بخائن، لأن المؤمن أميناً على كل شيء، على أهله وماله ووطنه وعلى عمله ودينه، مما يدل هذا على يقظة الضمير وحس المسؤولية وإدراك أن الأمانة من صون حقوق الله وحقوق العباد، هي مسؤولية سيسأل عنها في يوم القيامة.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **الأنفال/27**.

جعلت الأمانة من صفات المؤمنين.

- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ **المؤمنون/8**.

إن الأصل في فطرة الإنسان الأمانة وليس الخيانة، فالأمانة غرست في قلوب المؤمنين ولم تغرس الخيانة في قلوبهم.

- قال ﷺ: ﴿يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ الْخِلَالِ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾[1].

---

[1]- رواه أحمد وأحمد بن الحسين أبو بكر **البيهقي**.

فالخيانة مناقضة للأمانة والإيمان، لأن الإيمان معناه: التصديق، وهو أن يؤمن الإنسان بالقلب ويقِّر باللسان، ويطبق هذا الاعتقاد بسلوكه وعمله[1]، فسبحان الله الذي فرق بنوره بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

أعجبتني خاطرة للإمام ابن الجوزي حيث قال:

((من نازعته نفسه إلى لذة محرمة، فشغله نظره إليها، من تأمل عواقبها وعقابها، وسمع هتاف العقل يناديه: ويحك، لا تفعل! فإنك تقف عن الصعود، وتأخذ في الهبوط، ويقال لك: ابق، بما اخترت، فإن شغله هواه، فلم يلتفت إلى ما قيل له، لم يزل في نزول، وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب: إن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع، غيّر اسمي، فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن، لا يصلح لك غير هذا الاسم، قال: فجربني، فأعطاه شقة لحم، وقال احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغيّر اسمك، فجاع، وجعل ينظر إلى اللحم، ويصبر، فلما غلبته نفسه، قال: وأي شيء باسمي؟ وما الكلب إلا اسم حسن، فأكل، وهكذا الخسيس الهمة، القنوع بأقل المنازل، عاجل الهوى على أجلّ الفضائل))[2].

إن كثيراً من الناس تزداد نفوسهم خبثاً، حتى يصير الشيطان من جندهم لفسادهم كما قال قائل: ((كنت امرؤاً من جند إبليس، فارتقى بي الحال، حتى صار إبليس من جندي)).

هؤلاء هم مرضى القلوب الذين فقدوا توازنهم الإيماني والعقلي والنفسي.

- قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ **البقرة/10**.

---

[1] – محمد علي الصابوني: آمنت بالله، ص**22**.

2– أبو الفرج عبد الرحمن بن علي **ابن الجوزي**: كتاب صيد الخاطر، ص **211**.

ويظهر الران والصدأ على قلوبهم من كثرة المعاصي فعميت قلوبهم عن معرفة الخير من الشر.

- قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/14.

وتأتي مرحلة الطبع والختم على قلوبهم، هذه المرحلة هي إشارة إلى ما أجرى الله به العادة، أن الإنسان إذا تناهى في الاعتقاد الباطل أو ارتكاب محظور يورثه ذلك هيئة تُعَوده على استحسان المعاصي، فيختم على قلبه.

- قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ البقرة/7.

ختمه شهادته تعالى عليه أنه لا يؤمن بل وقال: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ ابراهيم/43.

أي جوف لا عقول لها، لأن قلوبهم ميتة لا حياة فيها لكفرهم بالله عزَّ وجل.

منهم من يمكر مكراً يعجز أهل الأرض عن إدراكه، والآن ظهرت في أمريكا أبحاث لاستنساخ البشر، فهل يعجزون عن إثارة طفرات في المورثات السلوكية لبعض الناس بأن يجعلون منهم كأفلامهم مصاصين دماء، وسلوكياتهم العنف وتدمير كل ما هو من القيم الإنسانية السليمة...!!.

في عقولهم وقلوبهم وطباعهم حب الاستعلاء الطاغي وأن المادة فوق كل شيء.

يريدون نزع صوت الحق من القلوب وتحويل الناس إلى قطيع تبعي ليسهل انقيادهم.

إنهم يعبثون بالبشرية جمعاء، معبودهم هوى النفس والشيطان، تحجرت طباعهم وقلوبهم، إنهم في حالة الضنك النفسي لبعدهم عن نور الإيمان ونور العقل.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/124.

بل ويزيدهم الله قهراً، فيقيض لكل منهم شيطاناً قريناً.

- قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ **الزخرف/36**.

إنهم في حالة ضيق الصدر وظلمة وعدم الانشراح وقلوبهم مشمئزة خاصة عند سماع ذكر الله فتزداد الطباع الانفعالية من الاكتئاب واضطراب مزاجهم وعدوانيتهم وغضبهم وذلك لزيادة فرط نشاط هرمون الأدرينالين فيرتفع ضغط الدم وتتسارع دقات القلب، وينخفض مستوى هرمون السيروتونين فتظهر الكآبة والتوتر والقلق الزائد عليهم.

القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمى، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما[1].

أجرد: إشارة بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي.

أغلف: مغطى بغلاف لا يصل إليه نور الإيمان.

منكوس: أي أركسهم وردهم للباطل، وعنه ﷺ قال: ﴿إِذَا رَأَيْتُ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوَى مُتَّبَعًا، وَإِعْجَابُ كُلَّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصِّيَّةِ نَفْسِكَ وَدَعَ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَّامِ﴾[2].

وفي الختام نسأل الله تعالى أن لا يقلب قلوبنا ويثبتنا على الإيمان به.

---

[1]- رواه أحمد.

[2]- رواه أحمد وابن ماجة.

القلب امير البدن والطباع

الفرع الأول

الإثبات الخامس عشر

إثبات من القرآن والسنة أن في القلب مراكز زوجية طبعية

جميع المعتقدات والأحاسيس والمشاعر والسلوكيات والمعارف لها مراكز في القلب والتي تحتوي على زوج أحدهما ظاهر والآخر ضامر، هذا التأرجح بينهما يميل إما إلى كفة الخير وإما إلى الشر، لكن المعتقد الإيماني للمؤمن يطغى على الكثير من المراكز الدافعة إلى المعصية، لأنه نور من الله تعالى فاسألوا الله أن تكون لمة الإيعاذ بالخير هي القوية والسائدة، فتعالوا نبدأ:

- **القلب مركز الإيمان والكفر:**

شرف القلب بأن يكون موضع استقرار القرآن الكريم وحفظه قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴿193﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ **الشعراء/193-194**.

- قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ **الحجرات/7**.

- قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ **الحجرات/14**.
- قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ **النحل/22**.
- قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللّه من بَعْدِ إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **النحل/106**.
- قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ **المجادلة/22**.

- **القلب مركز الخير والبر والشر والإثم والابتلاء والتمحيص:**

- قال تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً﴾ **الأنفال/70**.
- قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ **آل عمران/154**.
- ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ **البقرة/283**.
- حديث شريف: ﴿الْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ وَخَشِيتُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[1].

- **القلب مركز التقوى ونقاء السريرة ومركز النفاق واللهو:**

- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا من تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ **الحج/32**.
- قال تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ **الحجرات/3**.
- قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ **التوبة/77**.

---

[1]- رواه أحمد ومسلم/**2553**/.

- ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ الأنبياء/3.
- قال ﷺ: ﴿التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾[1].

- **القلب مركز الطمأنينة والسكينة والرهبة والفزع والخوف والرعب:**

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/28.
- ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ النحل/106.
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الفتح/4.
- قال تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ﴾ الأنفال/12.
- قال تعالى: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ الحشر/13.
- قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الأحزاب/26.
- ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الحج/35.
- قال تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج/54، أي تطمئن وتسكن.
- قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ سبأ/23.

- **القلب مركز اليقين والإلهام والظن والريبة والشك والوسوسة:**

- قال تعالى: ﴿ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ الأعراف/2، «أي شك».
- قال تعالى: ﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة/110.

---

[1]- رواه مسلم برقم/2564/.

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التوبة/45.
- ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ الناس/5.

- **القلب مركز الهداية والضلال وإنكار الحق والإزاغة:**

- قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن/11.
- قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ﴾ النحل/22.
- قال تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ التوبة/117.
- قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام/110.
- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ آل عمران/8.
- قال تعالى:﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ النساء/155.

- **القلب مركز العلم والمعرفة والفهم والجهل:**

- قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة/93.
- قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ العنكبوت/49.
- قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الأعراف/179.

- **القلب مركز الثبات (رباطة الجأش) والتقلب:**

- قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الكهف/14.
- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ الفرقان/32.

- قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ القصص/10.
- قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور/37.
- قال ﷺ:﴿إِنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ عزّ وجل يُقَلِّبُهَا﴾[1].

- **القلب مركز انشراح الصدر وضيق الصدر:**

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الحجر/97.
- قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزمر/22.

- **القلب مركز الصدق والكذب:**

- قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح/11.
- قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ آل عمران/167.

- **القلب مركز الشح والبخل والكرم:**

- حديث شريف: ﴿خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ﴾[2].
- عن رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أبداً﴾[3].

- **القلب مركز التواضع والتكبر والأنفة والتعصب والتسامح:**

---

[1]- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده.

[2]- أخرجه الترمذي في سننه برقم/1962/.

[3]- أخرجه الترمذي برقم/1633/، والبخاري في الأدب المفرد برقم/283/ جزء من الحديث.

- قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الفتح/26.
- ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر/35.
- قال تعالى: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إبراهيم/37.

- القلب مركز اللين والقساوة والفظاظة والغلظة:

- قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج/53.
- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة/74.
- قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران/159.
- قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الزمر/23.

- **القلب مركز إرادة الخطأ والصواب (الحق والباطل):**

- قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ الأحزاب/5.
- قال تعالى: ﴿لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة/225.

- **القلب مركز السرائر والخفايا:**

- قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ غافر/19.

- قال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فاطر/38.

- **القلب مركز الخشوع والوجل والرحمة والرأفة:**

- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ الحديد/27.
- قال تعالى:﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد/16.

- **القلب مركز الطهارة والنقاوة والإصغاء والاستماع والاستجابة للحق وعكسه مركز الطبع والختم:**

- قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الأحزاب/53.
- ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم/4.
- قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/14.
- قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ البقرة/7.
- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ فصلت/5.
- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر/35.
- وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾[1].

- **القلب مركز التشفي والغيظ والغضب والحقد والكراهية والغل والاشمئزاز والعكس هو مركز الحب والتآلف والاستبشار والود والطهارة:**

---

[1]- رواه مسلم في صحيحه برقم/2564/.

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ **الزمر/45**.
- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ **الأحزاب/53**.
- قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ **آل عمران/118**.
- قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ **الأعراف/43**.
- قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **الأنفال/63**.
- قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ **آل عمران/103**.
- قال تعالى: ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ **التوبة/14**.
- قال تعالى: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ **التوبة/15**.
- قال تعالى:﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ **الحشر/10**.
- قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ **محمد/29**.
- قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴿14﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ **التوبة/14-15**.

- قال تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ الحشر/14.

- **القلب مركز الأمانة والخيانة:**

  - حديث شريف: ﴿أُنْزِلَت الْأَمَانَةَ فِي جذُور قُلُوبِ الرِّجَالِ﴾[1].
  - حديث شريف: ﴿يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ﴾[2].

إذاً القلب أمير البدن والأحاسيس والمشاعر والطباع والمعتقدات وفيه العقل الذي منه تصدر الإرادة الإنسانية فإن صلح صلحت كل الرعية، الجوارح والمعتقد والطباع والمشاعر وإن فسد فسدت الرعية.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ الجاثية/6.

أسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء، والحمد لله رب العالمين.

---

[1]- رواه البخاري برقم /6497/.

[2]- رواه الحاكم في مستدركه.

المحتويات

مقدمة الكتاب..... 5

تمهيد : الفطرة الطبعية..... 7

المبحث الأول : توريث الصفات الجسمية بين الوراثة والبيئة..... 11

المبحث الثاني : علم الطباع في الانسان– الموروثات السلوكية الموجودة في قلب الإنسان..... 17

الفرع الأول :..... 17

الإثبات الأول : وجود موروثات سلوكية شفعية في قلب الانسان..... 17

الإثبات الثاني : وجود موروثات سلوكية متقابلة ومتعاكسة..... 20

الإثبات الثالث : الموروثات السلوكية والجسمية مجبولة من مشكاة واحدة من أديم لأرض..... 21

المبحث الثالث : حظ الشيطان من بني آدم..... 27

الفرع الأول :..... 27

الإثبات الرابع : للشيطان نصيب مقدر من علقة بني آدم..... 27

الفرع الثاني : حادثة شق صدر النبيﷺ..... 31

الإثبات الخامس : استنتاجات حادثة شق الصدر الحسية..... 33

المبحث الرابع : انقلاب طباع العرب بظهور الإسلام..... 39

الفرع الأول :..... 39

الإثبات السادس : انقلاب الطباع..... 39

المبحث الخامس : حقيقة العقل..... 43

الفرع الأول : خواص النشاط العقلي..... 48

الفرع الثاني :..... 55

الإثبات السابع : الاجراء العقلي الفعلي السلوكي الضابط للطباع..... 55

الفرع الثالث: الضبط العقلي للطباع السلوكية..... 58
الإثبات الثامن : عملية الوسم النوراني للمؤمن ولطباعه الخُلقية..... 61
الإثبات التاسع : ظهور الطباع وصراع الإرادات العقلية..... 63
المبحث السادس: تأثير البيئة وتوريث الطباع السلوكية للأجيال القادمة..... 72
الفرع الأول: 72
الإثبات العاشر : أثر البيئة في توريث الطباع..... 72
استنهاض وتهذيب الطباع..... 79
الفرع الثاني: 81
الإثبات الحادي عشر : عوامل استنهاض وتهذيب الطباع الخُلُقية..... 81
الإثبات الثاني عشر : أثر العبادة في تحسين الطباع..... 88
الإثبات الثالث عشر : تهذيب طباع المؤمن بسماع القرآن الكريم..... 94
المبحث السابع: تهافت الطباع الخلقية نهاية الإيمان..... 98
الفرع الأول: 98
الإثبات الرابع عشر : تهافت الطباع الخلقية..... 98
المبحث الثامن: القلب امير البدن والطباع..... 114
الفرع الأول: 114
الإثبات الخامس عشر : إثبات من القرآن والسنة أن في القلب مراكز زوجية طبعية..... 114